



شريف الشوباشي

لتحيا اللغة العربية:

يسقط سيبويه



العامه للكتاب



الهيئة المصرية

لتحيا اللغة العربية..

# يسقط سييويه

شريف الشوباشي



المركز القومي للمكتبات

٢٠٠٢

الغلاف للفنان : محمود الهندي

الإخراج الفني والتصليد

---

صبري عبد الواحد

«إن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين....  
ولكنها ملكٌ للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال»

د. طه حسين

مستقبل الثقافة في مصر

## مقدمة

أصبحت بصدمة في أحد أيام مارس ٢٠٠١ عندما فتحت العدد السنوي من «الألتاك»، والذي كان صادراً قبلها بأيام قليلة. و«الألتاك» هو مطبوعة سنوية تحمل المعلومات الأساسية في كافة المجالات وآخر الإحصائيات العالمية. ومن عادتي أن أتابع في الألتاك آخر أرقام تعداد السكان في دول العالم وفي أكبر المدن؛ ومعدلات النمو، وكذلك عدد أبناء كل ديانة والناطقين بأهم لغات العالم، ومعلومات أخرى كثيرة ذات فائدة كبيرة.

أما عن الصدمة، فكانت عندما جلت بنظري في جدول أهم اللغات المتداولة في العالم، فلم أجد العربية في مكانها المعتاد بهذه المطبوعة. وأعدت قراءة جدول أهم اللغات عدة مرات وأنا في حيرة شديدة: هل هناك مشكلة أصابت نظري ؟ أم أن اللغة العربية سقطت منهم سهواً .. أم ماذا ؟

وعندما فتشت في الجدول الموسع للغات المنتشرة في العالم، والذي يضم نحو ٢٢٠ لغة، أدركت الحقيقة التي أثارتني بقدر ما

أزعجتني. فمطبوعة «الألنالك» لم تعد تعتبر العربية لغة قائمة بذاتها، على أساس أن اللغة هي أداة التفاهم اليومي بين الناس وليست أداة الدرس والعلم. وهم يعتبرون أن العربية صارت لغة لقراءة الكتب والمراجع.

أما لغة التفاهم في العالم العربي فهي اللهجات مثل المصرية والسورية والمغربية. وباختصار فهم قرروا أن يعتبروا العربية من اللغات الميتة التي يعرفها البعض، زاد أو قل عددهم، لكنهم لا يستخدمونها في تعاملهم اليومي.

ومن الممكن أن يكون أول رد فعل لنا أن ننتفض صائحين: «هيهات.. وموتوا بغيطكم أيها الحاقدون.. ووالله هذا لن يكون أبدا..» وأنا أقول: إن شاء الله هذا لن يكون.. لكن هذا لا يكفي. فهذه المطبوعة تعتبر من المطبوعات الجادة التي يعتد بها في العالم، وإن كانت لا تخلو من الأغراض الخبيثة، وخاصة حيال الإسلام والعرب.

ومع ذلك، فإن كبار الكتاب والمتخصصين في العالم، وخاصة في الغرب، يعدونها من أهم مراجعهم. وبالتالي فمن الخطأ أن تأخذ موقف هذه المطبوعة من العربية بالاستخفاف والتعالي، بل ومن مصلحتنا أن نعتبره جرس إنذار علينا أن نستمع إلى ما يحمله رنينه إلينا بكل جدية وحرص حتى وإن كرهنا محتواه.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك جامعات ومعاهد لغات في أوروبا وغيرها تقوم بتدريس اللهجات عوضا عن العربية، بل إنهم يخبرون

الطلبة الراغبين في دراسة العربية بين الفصحى وإحدى اللهجات العامية، وهنا يتضح لنا مدى خطورة الموقف، بل إن مراكز تعليم اللغة في البلدان العربية تفعل نفس الشيء مع الأجانب المبتدئين في تعلم لغتنا.

والأكثر من ذلك أن هناك محاولات جادة لتععيد اللهجات حتى تصير بمثابة لغات كاملة الأركان لها قواعد النحو والصرف الخاصة بها.

وكما نثبت في هذا الكتاب فإن اللهجات كانت موجودة دائماً، واللغة الفصحى التي ترمز إليها أحياناً بلغة سيبويه لم تكن في يوم من الأيام لغة تفاهم وتعامل يومي، اللهم إلا في فترة وجيزة جداً وفي رقعة جغرافية محدودة بالجزيرة العربية، فما الذي استجد حتى نزرع اليوم من اقتحام اللهجات لحيز التعامل اللغوي بين العرب ؟

الجديد هو أننا نعيش في عصر يعرف باسم عصر العولمة، وأياً كان موقفنا من تلك العولمة، فإن لها بالتأكيد آثاراً سلبية على الثقافات الإقليمية وعلى كل مقومات الحضارات ومن بينها اللغات.

والعولمة بمعناها السياسي والاقتصادي ذوبان الحدود بين الدول والتجمعات الإقليمية. لكن معناها الثقافي عميق، وقد يكون أكثر تأثيراً على الشعوب، فالعولمة قد تؤدي إلى هيمنة ثقافة واحدة على العالم، مما يترتب عليه انكماش مقومات الثقافات الأخرى التي تبلورت من خلال حقب التاريخ المتعاقبة. وبالتأكيد أن اللغة من أبرز مقومات الشخصية الإنسانية ولا بد بالتالي أن تتأثر بالعولمة.

الجديد أيضا هو أن وسائل الإعلام الحديثة جعلت أدوات التفاهم الشفهية تنافس المكتوبة، بل وتتفوق عليها أحيانا وتسحب من تحتها البساط. ففي الماضي كانت الوسيلة الوحيدة للاتصال وحفظ المعلومات هي الكتابة. أما منذ نهاية القرن العشرين فقد ظهرت الوسائل السمعية والبصرية التي جعلت للكلمة المنطوقة أهمية كبرى لم تكن لها بهذا القدر منذ عرف الإنسان الكتابة، وانطوى عندئذ عصر الثقافات الشفهية. فالتسجيلات الصوتية والصورة صارت هي الأخرى وسائل حيوية لنقل المعلومات وتخزينها كمراجع للمعرفة.

وأخيرا وليس آخرا فمن المؤكد أن هناك من لا يريد للعالم العربي أن يكون واحدا ويأمل في قرارة نفسه تمزيق أو اصر هذا العالم. وحيث أن أهم ما يربط بين العرب هو لغتهم، فإن القضاء على هذه اللغة سيؤدي إلى نهاية عالمنا العربي. وربما كان هذا هو الهدف الخفى من وراء المشروعات الغربية المطروحة على الساحة في بداية القرن الحادي والعشرين.

وأمام هذه التحديات الخطيرة فإن اللغة العربية تمر الآن بمفترق طرق حيوي. إما أن تجدد نفسها فتبقى دائما لغة العرب المشتركة.. أو أن تتفوق على نفسها فتواجه بالفعل خطر الزوال لحساب اللهجات كما حدث للغة اللاتينية في القرون الوسطى الأوروبية. وهذا الاحتمال، وإن كان بعيدا، إلا أنه ليس من دروب الخيال العلمي.



والمشكلة هي أن اقترابنا من قضية اللغة مغلول من أساسه. فهو يقوم على فرضية نعدّها من المسلمات، وهي أن مشكلة اللغة تكمن في الناطقين بها من العرب. وكل من يتصدى للحديث عن اللغة هذه الأيام يسخر من جميع من يخطئون فيها ويستهزئ بالآخرين وكأنه معصوم من الخطأ في اللغة. فالمنطق السائد في هذا الموضوع يشابه ما طرحه الشاعر مرسى جميل عزيز في أغنية «سيرة الحب» التي غنتها سيدة الغناء العربي أم كلثوم عن مشكلات الحب ومن هو المتسبب فيها حيث تقول: «العيب فيكم يا في حباييكم.. أما الحب.. يا روحى عليه». فالخطأ إذا ليس في الحب وإنما في كل من يمارسونه بأسلوب خاطئ.

ولو كان من الممكن أن تنطبق هذه المقولة على الحب لأنه قيمة مجردة، فإنه لا يمكن أن تتسحب على اللغة. فاللغة كائن حي لا بد أن تتغير بتغير الوقت وأن تجاري الزمان. وبالتالي فأنا أقول إن الخطأ لا يقع بالكامل على مستخدمي العربية لكنه يقع أساساً على عائق اللغة نفسها.

وأقول لكل من يتعذب من جراء تعلم اللغة أو يشعر بعقدة نقص لعدم إجادته العربية إجابة تامة: لا تطلقوا.. فالعيب ليس فيكم، ولكنه في اللغة التي لم تشملها سنة التطوير. وأستطيع إنطلاقاً من هذا أن أبرئ ساحة ملايين العرب بل الأغلبية الساحقة من الشعب العربي من ذنب عدم تملك ناصية لغة الضاد بكل تعقيداتها.

ومن منطلق معرفتي بمستوى التعليم في فرنسا وغيرها من الدول الغربية، أستطيع أن أجزم بأن المستوى اللغوي لخريجي الجامعات المصرية من غير المتخصصين يوازي مستوى تلميذ في بداية المرحلة الإعدادية هناك في لفته الأم.

فهل يعكس هذا تبوغ تلاميذ العالم الغربي وتخلف طلاب العلم عندنا ؟ بالتأكيد لا .. فإن المستوى الذهني متقارب بين الاثنين .. إنما المعضلة تكمن في اللغة العربية التي ترقى تعقيداتها إلى مرتبة اللوغاريتمات المتعلقة على عقول غير المتخصصين.

وفي فصول هذا الكتاب سنناقش بهدوء الأهمية الحيوية للغة في حياتنا وهل هناك شيء اسمه لغة عالمية. كما سنناقش لماذا يتعذب ملايين التلاميذ والطلاب من أجل تعلم اللغة العربية بدلا من أن يركزوا طاقاتهم في تحصيل العلوم من خلال أداة لغوية سهلة طيعة كما هو الحال بالنسبة لطلاب غالبية دول العالم الأخرى.

فعلينا ، بعيدا عن التناق ، أن نعترف بأن طلبة المدارس يكرهون حصص اللغة العربية وينعون همها أكثر من أي مادة تعليمية أخرى. فإلى متى نجعل أطفالنا وشبابنا يتجرعون عذاب القواعد المعقدة التي عفا عليها الزمن ولم تعد تواكب العصر ؟

وتتعدى القضية تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات حيث يكاد لا يوجد شخص في العالم العربي لا يخطيء في اللغة. وحتى الذين يتكلمون على اللغة ويتكلمون على أخطاء غيرهم غير قادرين على القراءة والكتابة دون خطأ باستثناء بضع مئات معدودة من المتخصصين في العالم العربي كله.

وهذه اسعة لعظيمة التي نزل بها إعمار القرآن الكريم، والتي فتحت سمرب هق رحية للتطور الفكرى والإبداع الفنى أصبحت مع مرور ألقرون قيد بكل لعقل العربى وبعل طاقتنا الخلاقه. فالبعة تحولت إلى اسر يحق أفكارنا ويجمعها. وهى تسهم للأسف فى حرماننا من الانطلاق إلى الأفاق لرحبة التى بمتعها لعلم الحدث ووسائل المعيشة المواقبة لتطور العلمى. وباحتصار فى اللغة أصبحت سحبا يحبس العقل العربى بين حذرقة الحديدية بإرادته المستكينة

هالعربية هى سعة لوحيدة فى العالم اليوم التى لم تتغير قواعدها الأساسية منذ ١٥٠٠ سنة كاملة. قد يرى البعض فى ذلك رسوخا واستمررية ودليلا على رصانة اللغة. لكنى أرى فيه جمود وتحجر يعكس سباب على العقل العربى. هاللغة كما قسا كاش حى، يولد ويمو ويتطور ويشب ويصبح ثم يشيخ، وكثير ما يموت، ومرب هو عاده اشباب إلى لغتنا وأخرء معميات تحميل لإزالة التجاعيد التى تركمت بعد قرون من الممارسة لباحة. هالجمود هى اللغة يؤدى حتما إلى جمود هى العقل واتحجر هى اللغة يؤدى إلى تيبس الأركان

وهى الماصى كان فنوب قدريس على معرفة لغة و لغرات والحديث و بتمعق فى الوقت ذاته فى علوم مثل انك والكيمياء والرياضيات أم اليوم ومع الاتساع اللامتناهى فى المعارف، فإن الإنسان العربى يجد نفسه أمام حير صعب إما أن يكرس حياته لدرسة اللغة و لغرات، أو أن يثخص فى فرع من فروع العلم و معرفة الحديثة

وهي لحاله الأولى، فإنه سيكون صليما ولا شك هي العربية لكنه سيكون شبه منقطع عن العالم ومحسوسا في دائرة معنى تحمله خارج حياة المرن الحادي والعشرين وهي الحالة الثانية سيكون موكب للنظور الحصارى الهائل في لعالم أجمع بك مفرقه بالعربية ستكون محدودة وسطحية إلى حد بعيد.

وسنعتقد في فصول هذا الكتاب معارية سريعة بين العرس و للاب الحبة لأخرى لتبين صدق هذه الحقيقة، وسنشير من هذه المقاربة بين العربية بقو عدها الحامدة مع اللباب لأخرى نر تستخدمها التعبوب المتقدمة أنت كمن يمتطى حمالا باطربو لسريع، في الوقت الذي يركب فيه غبرنا سيار ب ثقلمهم بأقصر سرعة إلى سلحات النقدم، فتحصيل نعلم من أجل تطبيقه لمن لإنسان أصبح الشعر الشاعل للمحتمعات لمتحصرة لم يعد هناك فرغ يجعل الناس يستند صعوبة لقوعد وتعفيد الكلمات كما هو الحال عدا حيث ينتشى لبعض وتنصح أوداجهم سرور عدم يصححون خطأ لغوا، وينون قاعدة منقعة، لافية لها إلا أنها من وضع النعاة الأقدمين.

هذ في حين أن المجتمعات المتقدمة في صرغ مع لرمز ولينست على استعداد لإصاعة وقتها لثمين في الكلمات لرتانة المراجعة بر أي محتوى وفي المواعد المعقدة والحناس والطباق والملمت والاستعارة المكنة وغير المكنة، وما شابه ذلك من محسبات بدعة حتى الأدب العلمى أصبح يعتمد على المعنى والمضمون وليس على رخرق لغة والنلاعب بالألفاظ.

وسوف نتعرض أيضاً بمعيار العقل إلى قضية حساسة هي علاقة اللغة بالدين، وهل لغربية لغة «توقيفية» أى هابطة من السماء كما يريد البعض أم لغة «اصطلاحية»، أى من صنع الإنسان، كما يريد المنطق ؟ مع أن الكل يعلم أن العرسية شأت واستوت كمظلومة لغوية متكاملة هي العصر الجاهلى. فهي إذن تسمى - كلفة - إلى العصر الجاهلى، لكن الله سبحانه وتعالى يحيرها لتزيل رسالته إلى لبشر، فسمها بها إلى أعلى مراتب لإعجاز.



وهى كتاب «الداء العربى» حاولت أن أضع أصابعى على بعض أسباب تلغف معالم انعرس عن ركب تحصرة العالمى. وكنت أبوى أن أحصى فصلاً عن اللغة بمنوان «رسالة إلى حراس الصائد» أشدد فيه على ضرورة لثورة على قواعد اللغة التى لم تعد تواكب زماننا. فإنا اعتسر أن اللغة هى إحدى عناصر تحف العالم العربى وأن تحجر البعض هى تناول قضية لغة من أسباب عملية إجهاد لبهضة لدى همت بتحليله فى كتاب «الداء العربى» لكننى وجدت أن قضية لغة أكبر من أن تعرض فى فصل داخل كتاب. فهى هى حاجة إلى مؤلف مستقل يحلل الظاهرة ويحيط بها من جوانبها المختلفة.

ويأتى هذا الكتاب نكمة لما سعيت إليه فى «الداء العربى». فقد أن الأوان أن يدرك أن اللغة أصبحت إحدى لعقبات فى سبيل

بطلاق العقل العربي ون لا ون أن نقول هذا الكلام بشجاعة في  
وجه من يريدون الحصر على عقولنا وترويع كل من ينادي بالتحديث

\*\*\*

ونعيد عن ذهنى تماما هجر اللغة العربية لحساب انهجاء  
العامية أو استخدام الحروف اللاتينية وما شابه ذلك من  
اقتراحات طرحها بعض الذين أدركوا بكون المصحح عن التمس  
عن وقمما الحالى. هالذين يدعون إلى وأد العربية لا يركزون  
ثبات مطلبهم هاللة العربية أنتجت بعضا من أهم الإبداعات  
الإنسانية ومن يدرس تاريخ الآداب العالمية لا يسهه إلا أن يتوقف  
بإحلال أمام اشعار المتنسى وأبى العلاء وأبى نواس ونثر أبى حيان  
فتوحيدى، كما لا يملك إلا أن يعنى تحية لأرب نجيب محفوظ

وترك اللغة العربية معناه بمسألة محو كل هذا التراث العظيم  
من الذاكرة الجماعية للشعب العربي هذا عن التاريخ أما من  
الحاضر فإن معناه تقتيت الأمة العربية وشرذمتها إلى كيانات  
مستقلة وربما متنافرة. فإذا نظرنا إلى الوطن العربى اليوم بعد أن  
أقطاره تختلف فى سياسة وتنافر فى الاقتصاد وتتنافس فى  
تجارة. الجانب الوحيد الذى يجمع بين العرب هو الثقافة و اللغة  
هإذا سحبنا البساط من تحت هذا الجانب فإننا نهدم صرحا يُظل  
كافة العرب وكأنا نهدم المعبد فوق رؤوسنا.

ولهذه الحيفيات فإنه لا يمكن أن تُقف مع الداعين إلى هدم العربية من أساسها. لكن أطالب بإعادة النظر في المواعد الأساسية لعلنا لتصبح أداة فعالة لمجبر طاقات العقل العربي المحتسنة هي هيكل اللغة المقدس.

وآء على ثقة من أنى أترجم امشاعر سهمية فى نموس ملايين العرب وء أهدف قائلأ يسقط سيبويه.

\*\*\*

## برج بابل

يختص به كثير من يتصور أن قضية اللغة من تقضايا الهمشية أو ثانوية التي يواحبها المجتمع أو حتى أنها مجرد قضية هامه من بين قضايا متعددة وقد يرى البعض أن الأجدى التعرض لقضايا الاقتصادية أو الاجتماعية أو غير ذلك من الموضوعات الحيوية، التي تمس الحياة اليومية للإنسان العربي أم قضية اللغة فهي ترقى بمعنى أن تتركه للمتخصصين وعلماء لفظه اللغوي.

فالحقيقة أن اللغة قضية حيوية ستسهم بشكل حاسم في تحديد الهوية العربية وتطور ثقافتنا في القرن الحادي كما أنها مسد لكل من يستعدها، ويستحكرها على علماء لغة وسعاول هي هذا الفصل إثبات أهمية اللغة في حياة الإنسان منذ بدء الخليقة وكيف كانت عصوراً مؤثراً في تطور المجتمعات وتشكيلها، والوحدة الجماعية لها.

وهناك بين اللغة والمكر علاقة جدلية فاللغة وعاء تفكير، والمكر مصممون اللغة والإنسان لا يستطيع أن يفكر بطريقة مجردة.



وإنما يفكر من خلال كلمات وبركيات بعوية تتفاعل هي ثابا عقه.  
فقل الأهكار يكون دائما سالمة سواء عن طريق الكلام أو لكتابة

أما وسائل التعبير، الأخرى مثل الرسم والموسيقى مثلا فتقتض  
شعبات من لأحاسيس والمشاعر، لكن كل هذه الوسائل التي لا  
تعتمد على اللغة عاجزة عن إيصال الفكر من إنسان إلى آخر وقد  
ظل الإنسان لمئات الآلاف من السنين أقرب إلى الحيوان بطر بعدم  
تبلور أداة للتفاهم بينه وبين الآخرين من بني جسه.

وعنما الأشروبولوحى يؤكدون العلاقة المتوزية بين تطور لغة  
وبقدم المجتمعات الإنسانية فكما استطاع إنسان أن يتفاهموا فيما  
بينهم، كلما نححو هي بطور حياتهم ومسوى معيشتهم

والعكس صحيح فقد ثبت دئما أن التحف الفكرى والإفلاس  
لحصارى يؤديان بالضرورة إلى ضعف اللفظ والتخلف اللفوى  
بميو العقل عن التطور الحصارى ويؤدى إلى تحجيم للإدراك  
والخيال اللارمى للثقدم فالعقر اللفوى كثير ما يعكس فقرا  
معنويا وحتى ماديا للمجتمع.

والتعريف، البشع للإنسان هو أنه حيوان باطق فالمارق الرئيسى  
بين الإنسان والحيوان هو السطق أى اللغة. الحيوان لا يستطيع  
تعبير عن نفسه ولا يستطيع أن يورث خبرته وتجربته لمن بعده،  
على عكس الإنسان الذى يقدر كل معارفه وعلمه عن طريق لغة

وهناك نظريات عديدة هي أصل للغات وبشائها وتطورها عند  
الإنسان البدئى لدى ظل ملايين السنين حتى توصل إلى لغة راقية

نعر عن مشاعره ومتطلباته. لكن علماء الاثروبولوجي يرححون أن الإنسان الأول كان يدرك الأشياء في بداية كصور محسوسة في عمله، فيصكر مثلاً في أسد أو نهر فيتمثل كل منهما أمامه، وطري كذلك حتى بدأ يصدر أصواتاً للتعبير عن تلك الأشياء التي يريد استحضارها ونقلها لغيره ومن هنا بدأت اللغة.

وطال التفكير الإنساني قاصداً وأقرب إلى تفكير الحيوان طالما لم تتكون لغة التماور والتفكير هي لأشياء لمادية المحسوسة ولأحاسيس لغيرية مثل الخوف والجوع يساعد على خلق لغة بدئية تتكون من أصوات ثم كلمات مقتضبة للتعبير عنها لكن لتطور التي عرفه الإنسان بعد المراحل الأولى من وجوده على الأرض كان يستلزم وسيلة أكثر تعقيداً للتعبير ولتصاهم وبدأت سمات تنمو وتتطور وتجسد أفكاراً محددة وبالتوري مع تطور وسيلة التعبير عما يجيش في صدره من أحاسيس ومشاعر فصحت أمام الإنسان آفاق لتقدم ولحصارة.

\*\*\*

وكانت الكتابة من أهم الثورات الثقافية التي عرفها تاريخ البشرية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق. من إن التاريخ نفسه يبدأ بالكتابة أي بتثبيت اللغة الشفهية وتحطيمها لحاخر لرمز. ولحظ الفاصل بين ما يسمى بعصور ما قبل لتاريخ وعصور التاريخ هو اختراع الكتابة وعلى الرغم من اختلاف العلماء حول الحصار

لتي كان لها فضل اختراع لكتابة أهي المصرية أم، لسومرية ؟ لا  
أر الإجماع على أن بدء السومري كان لحظة تاريخية هادسة جعلت  
الإبصايه تفجر قمرة عملاقه إلى الأمم

قل ذلك كانت المعلومات و لخبرات تقتض كلها شهاة من حبر  
إلى جيل وهذا التوارث السمعى من شأنه أن يطمس لثقافة ولا  
يسمح بوجود دين أو معرفة حقيقية. فقام الأديان السماويه كلها  
هي الكتب التي تحمل رسالة كل دين وليس المنقول عن الأسس  
أنفسهم بالسمع حيلة بعد جيل فالتوراة والإنجيل و القرآن هي  
الأسس التي شيدت عليها الديانات السماويه الثلاث وكان لمر  
الكريم هو الكتاب الوحيد المحفوظ عند العرب بعد انتقال سيد  
محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى

وإذا سألنا أنفسنا ما الذي يربطنا بماضيًا ويتراثًا لتقاضي ؟  
هإن الأحابة هي بساطة اللغة فاللغة هي الوسيلة لأساسه  
لمعرفة كل ما حدث قبل وجود جيلنا هي الدنيا . فمعلوماتنا عن  
ماضي ستقيها من الكتب لنرى تركها السلف كما أن التراث والادب  
والفكر مرهونون كلهم باللغة التي دونو بها ونقرأها اليوم كما قرأها  
من عاشوا قبلنا .

هناك طبعًا الآثار لياقية مثل الأهرام وأسي الهول والمسح  
والقصور والقطع الأثرية مثل التماثيل ولأواني ولحلي وعمر ذلك  
لكن كل محبصت إياصى اليعيب والقريب تفقد معانيها في عيب انهم  
للموى فالأثر المرعوبيه لتقديمه مثلاً طلب أحجاراً صماء لم يترك

قمتها ومعناها أجيال متعاقبة من المصريين بقرون طويلة بسبب عدم  
فهم اللغة الهيرغليفية المسقوشة عليها وكان لعرب يفتون فتاوى  
عربية حول ساء الأهرام فصاحب المعجم لقاموس يقول مثلاً «إلى  
أنهرمين ساء أن أرتبنا بعصر يتدهما يدرين عنيه السلام لحفظ  
العلوم فهما من الطوفان، أو بناء ساء بن التشلثله

ووصل الأمر إلى أن الحكمة المأمون عندما قدم إلى مصر عام  
٨٣٢ م أمر بتعديك أحجار الأهرام بهدف استحداثها هي ساء  
مشات حديدة ولولا نقص الأحجار واحصائها لضحمة، التي حالت  
دو تنفيد أوامر المأمون، لمصعب مصر ولعالم أجمع إحدى عجائب  
الدي السبع القديمة بل إن هرم خوفو هو لوحيد، لياهي (الي يوم)  
هد من عجائب الدنيا السبع القديمة

أما الست الأخر وهي قنار الإسكندرية، وحدائق بابل المعلقة  
وعملاق رودس، وتمثال ريوس، ومعبد أرتميس (حماميه الأرض عند  
أرومان) وحصريخ هاليكارناس، قد تهدمت جميعها بفعل الزلازل  
والحرائق والعوامل الصيعية الأخرى

فأهرام الأكسر إذا هو البناء لوحيد من عجائب الدنيا السبع  
الأصلية الذي تهدى الزمن وانصهر على كل عوامل الهدم، مما  
جعل الشاعر يقول عنه

جلسن ما رجت السماء منه يساه ساها سا هرم من مصر  
ساء ساء لدهر منه وكل ما على الأرض يدسي دنها سطوة ادهر

وهذا الصرح العظيم لدى يعتبر اليوم أهم بناء على وجه الأرض ويوضع على رأس قائمة التراث العالمي لوجوب حمايته و لدى تحتضنه منظمة اليونسكو الدولية كد يرول بسبب الجهل بالغة وعندما نجح شامبلون في فك طلاسم الهيروغليفية في بداية القرن التاسع عشر تكتشفت أسرار الحضارة المصرية القديمة التي يعتبرها العالم أجمع اليوم أم الحضارات الإنسانية كلها وقد كانت اللغة هي المساح الوحيد لهم قيمة الأحجار الصماء التي تركها أجدادنا في عصور المراجعة.

ولو افترضنا حدلاً أننا فقدنا معرفة بالعربية فإنا لن نستطيع قراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. وسنقطع بذلك عن دينا كما سنفقد أي اتصال بتراننا لأدب والثقافة العظيم. فما لدى يربطنا بعظماء مثل المتنبي أو البحري أو حتى أحمد شوقي وطه حسين ؟ بها اللغة أيضا

ولو لم يكن نعرف العربية لما استطعنا أن نفهم ما أبدعه هؤلاء ولصبرا عاخرين عن الأرسطوفاصيا والاقطاع عن الماضي هو أكبر كارثة يمكن أن تواجها شعبا من الشعوب. والوصل المطوب بالتراث اليوم يمر بتطوير سريع وحرى لغة وليس بالتمسك بها كما هي بعباء قد يؤدي إلى أخطر النتائج على العربية.

\*\*\*

وبالإضافة إلى دورها لاساسي كوسيلة وحيدة لحفظ لثراث وانقائه عبر الأجيال. فإن اللغة هي أحد أهم العناصر لمكونة

للحصاره والنهوية الإنسانية هي كل مكان وأول اتصال بين إنسان وآخر يتم عن طريق اللغة ويحتاج لرعماء ورجال للسياسة والاقتصاد إلى مترجمين لفصاحتهم. ولولا هؤلاء لمرحموا الذين يجيدون أكثر من لغة لكان لغتهم صعبا للغاية إن لم يكن مستعبدا فاللغة هي أداة أساسية لفصاحتهم لكنها أيضا لوعاء لدى يتبنون فيه فكر الإنسان ورؤيته للحياة وبالنسبة إلى اللغة هي لمصير اشكل للثقافة والمكر وبقسمة والآداب.

وبالإضافة إلى هذا فإن اللغة هي أداة الفصاحة الأساسية من بناء بشرية وقد أثبت القرآن الكريم الأهمية الحيوية للغة حيث يقول تعالى ﴿وَبِأَنبَاءِ رَسُولٍ إِلَّا لَنَسُنَّ قَوْمَهُ يَنْبَأُ لَهُمْ﴾ (سورة ابراهيم - ١٢) أى أنه لو تحدث الرسل لغة مختلفة أو عربية عن قومهم ما أوصحوهم لهم وما يبينو لهم ما كلمو سقله من رسائل سمعية. ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى عندما يقول ﴿وَيُؤْتِيهِمْ مَعْنَى كَيْفَ يهْتَمُونَ﴾ (سورة ابراهيم - ١٩٨ و ١٩٩)

ثم هذه الآية حتى توصح هذا المعنى بجلاء ﴿وَيُؤْتِيهِمْ مَعْنَى كَيْفَ يهْتَمُونَ﴾ (سورة ابراهيم - ١٩٨ و ١٩٩) وفى (فصل ١٤) ومعنى هذا توضيح أن اختيار الله سبحانه وعالى للعربية جاء بناء على لغة لقوم ندى نزل عليهم الكتب

و لوقعة لوحيدة المذكورة فى القرآن عن تحدث الله سبحانه وعالى إلى بشر كان بطنها نبي موسى ويقول كتاب الله ﴿فَلَمَّا

اتھا نودی یا موسیٰ \* یٰ ایا ربّک فادخلْ علیّک بیت داؤد المقدس  
طوی \* وَاِذْ اخْتَرْتُمْ مِنْ سُلَیْمٍ اٰیُّوْحٰی \* (طه ١٢١) وباقي الآيات  
معروفة فی سورة صه ولما اُن سسائل سائی لعه تحدث الله لی  
عیده موسیٰ ؟

فموسیٰ تربی فی مصر وعاش بها وكان يتحدث اللغة المصریه  
القديمه أما العربیه فلم یکن لها وجود علی الأرض آنذاك فموسیٰ  
عشر قبل خاتم الأنبياء بسبعة عشر هربا . ویجمع علماء اللغة علی  
أن لعه لصاد لم یسجد ثوبها الذی یزل به القرآن إلا فی قرآن أو  
قرآن ویصف علی الأكثر فی دعوة

ومن المسلم به أن موسیٰ فهم کل کلمه مما قاله ربه فقد سألہ  
\* وَاَتَتْکَ مَیْمَتُ دَاوُودَ \* (طه ١٧) فأحابه البی كما هو ورد فی  
سورة طه ثم نسی بله بأوامر محدده حیث قال \* أَلْقِهَا يَا مُوسٰی \*  
(صه ٩) ثم \* فَاِنْ خُدَّ وَلَا تَحِبَّ سَعِيدَ سَیْرِهَا الْأُولٰی \* (طه ٢١)  
ثم \* وَصَلَّیْکَ إِلَی حَاحِثٍ خَرَجَ بِصَءٍ مِنْ غَیْرِ سَوءٍ أَنَّهُ أُخْرٰی \*  
(صه ٢٢) ثم \* اذْهَبْ بِی فَرَعَوٰنَ إِنَّهُ طَعٰی \* (طه ٢٤) وقد أحاب  
موسیٰ علی حاتمہ وبعد کل هذه الأوامر علی الفور آی أنه فهم  
تماما للغة استی نودی بها بل انه أجاب علی لله بالكلام فقال من  
بین ما قال \* وَاِذْ هٰی عَصٰی اُنُوكَا عَلَیْهَا وَافْتٰیْ بِهَا عَمِی وَلِی  
فَیْهَا مَارَ أُخْرٰی \* (طه ١٨) كما توجه إلی ربه بالرحاء فی الآيات  
من ٢٥ إلی ٢٥ .

وإذا عملنا عملاً لوحيدنا أن هناك حتميين من الصعب أن يكون لهما ثالث وهما:

أما أن يكون حوار مع موسى بالغة الوحيدة التي يفهمها وهي المصرية القديمة.

وأن يكون له قد أوحى إليه لمعاني دور استجواء إلى لغة معينة  
كر لمطلق يقول أن موسى حتى في الحالة ثابته قد تحدث  
بعده لأم وهي المصرية القديمة.

وهي كل الأحوال هي العسرة أن الله تحدث إلى موسى بأسلوب  
نظمه ودرت معانيه ولو تحدث إليه بالعربية مثلاً لما فهم موسى  
وما استطاع أن يطيع الأوامر.

\*\*\*

وقد لعبت لغة منذ فجر التاريخ دوراً محورياً في سجع تصميم  
لحماني للمجتمعات. لكنها طلت أداة استخدام دالية أي بين  
بناء المجتمع الواحد الذين يتحدثون نفس اللغة فكانت أهمية  
لغة كبيرة في تماسك المجتمع وربطها بهيكل بشيوي واحد هي  
سلوب التفكير ولم تكن المجتمعات هي لسابق متداخلة ولم يكن  
أسرع والتقل متحيزين بسهولة كما هو الحال اليوم فطلت لغة كل  
مجتمع هي التي تسيء وحدها القصاء بحرفي لشيء يصم كل  
آخره. وكان أبناء المجتمع الواحد لا يعرفون إلا لغة واحدة ستفاهم  
ولا يدور بخلدهم أن يعصموا لغة أخرى إلا استثناء بادرة



ثم اليوم فقد تغيرت الصورة جذريا وأصبحت اللغة أداة بصرهم بين المجتمعات المختلفة ولم يعد من الممكن في بداية القرن الحادي و العشرين على أنه دولة في العالم أن تعيش يوم و حدا دون الاتصال بدولته أخرى تتحدث لغة مختلفة عنها .

وكأن من نتائج ذلك أن أصبحت مهنة الترجمة و ثلثي كانت موجودة منذ قدم لزمان من أهم وأخطر المهن في العالم وقد أصبحت أيضا من أكثر المهن المحترمة من الناحية المادية، حيث يتقاضى المترجم الموزون في المؤتمرات الدولية مكافأة يومية مرتفعة نظرا لأنه من أهم مقومات نجاح الاجتماعات، ولولا ما حدث لتأهم بين الحاضرين .

وقد أدرك الإنسان منذ أقدم العصور أن اللغة هي أداة توحيد واستعظام ووقوق وتروى التوراة قصة تؤكد أهمية اللغة في ربط المجتمعات، فيقول بن ساس كانوا في بلاد لبشرية قوما واحد يتكلمون لغة واحدة ثم ظهر في نابل ملك طاعية يدعى نمرود تصور أنه قادر على مخاطبة الآلهة

وشرع هذا الملك في بناء برج شاهق يرتفع به إلى عتات السماء حتى يصل إلى الآلهة ويتحدثهم فقد كان هذا الملك يعتبر نفسه أقوى من الآلهة لتي هي تسماء وأراد أن تثبت ذلك لقومه عما كان من الخلق إلا أن جعل العاملين في بناء البرج يتكلمون لغات مختلفة وعلى أمور احتصى، لتأهم فيما بينهم وحدث الخلافات وأحدوا، تشاحرون بدلا من العمل في بناء البرج ولم يستطيعوا

بإسالي إكمال البناء وأحقيق ضرود هي وضع مشروعه المحصول  
موضع التضمن.

وحلاصة هذه القصة هي أن اللغة هي أساس التمهيم بين  
ناس وأن وجود لغات مختلفة جعل لسان عاشرين عن لسان في  
مشروع مشترك وهو بناء برج بابل.

وبرغم هذه القصة الواردة في توراة فمن المؤكد أن وجود لغات  
مختلفة هي بعينه من نعم الله. فكل لغة تعبر عن ثقافة بدتها ورؤية  
سجادة تعكس عن غيرها كما أنها تعكس منظومة فكرية بشرى  
حصار ب الأساسية وهناك آلاف اللغات التي سدرت تماما ولم  
يعد علماء اللغات يعرفون عنها شيئا ولا يستطيع علماء اللغة  
حصاء عدد هذه اللغات لكنها احتف عاده لحساب لغات أخرى  
أكثر تعبيرا عن حياحات المجتمع هكأن اللغات القديمة مثل  
تسمك في الماء يتبع كبير لصغير.

حتى في الحرية العربية خلال العاهلية كانت هناك عشرات  
لهجات المختلفة إلى أن جاء القرن هدرت كلها ولم تبق إلا لغة  
قريش أداة لتمهيم بين العرب.

وهناك لغات سدرت لكنها لا زالت معروفة للمتخصصين ولهم  
شهرها اللاتينية التي تعد اللغة الأم لغات حيه من أهم لغات  
عالم اليوم مثل الفرنسية والإيطالية والألمانية وبرتغالية  
والرومانية. كما أن هناك اللغة اليونانية القديمة التي أبدع بها

هو ميروس وأفلاطون وأرسطو وسقوكليس وغيرهم ممن عيرو  
بصورة فاضحة للحياة في العصور السابقة على ظهور المسيح.

وكي لكل حصرة من تلك الحصارات واللغة المعبر عنها دور  
حيوي في تقدم إنسانيه ورهبها ووصولها إلى ما هي عليه الآن  
ببعل تركم المعارف ولولا لغة لما كان ذلك متاحا

\*\*\*

ووعده معه بحصوره اللغة في العلاقات بين الشعوب طرأت على  
رهن طبيب بولندي في نهاية القرن التاسع عشر فكرة عبقرية فقد  
وصح لغة جديدة تماما هي مريج من أهم لغات العالم أطلق عليها  
سم (سيروسو) وبشرها عام ١٨٨٧ باسم اللغة العالمية

لكن المكرة سرعان ما أهملت وسقطت في طي السيار، فم  
بكن وراءها ثقافة ولا دولة قوية تحميها

وعندما أفق الناس من صدمة لحرب العالمية الثانية المروعة  
رأى بعض صرورة لبحث عن وسائل لسرع فتيل المواجهة بين أبناء  
لبشرية وأردوا من حسمور لتفاهم بين الناس، فعادت الروح بعض  
اشيء إلى الإسبرسو على أساس أنه إذ تحدثت كل شعوب العالم  
لغة واحدة فسوف يؤدي ذلك إلى إزالة العوائق النفسية وبراءات  
شتر الكمية في نفس الإنسان تحاد من يفتبرهم غرباء عنه

لكن هذه المحاولة باء بالفشل كما أن فكرة إقامة حكومة  
واحدة للعالم هي حلم من الأحلام الوردية التي لا يمكن تحقيقها  
في المستقبل القصور فحتى دول لاتحاد الأوروس لا زالت عاجزة

حتى الآن برغم تقدمها في الوحدة فيما بينها عن إنشاء نوع من  
نواع لحكم الموقى يجمع له كل الدول، الأعضاء، وكن الرئيس  
المرسئ الأسبق فالمرى حيسكار دستان يحلم بأن يكون أول رئيس  
لدوليات المتحدة الأوروبية، لكن هذا أفكار مثل الإسبرنتو سبق  
عصرها وقد تتحقق في المستقبل المعيد عندما تتغير ظروف  
المجتمعات البشرية.



وإذ، أحدها مثالا آخر من المرد العشرين يعكس إدراك لإنسان  
لأهمية اللغة وحد أن الطاعية الناري أدولف هتلر ( ١٨٨٩ - ١٩٤٥ )  
كان يحلم بتوحيد كل الناطقين بالألمانية في أوروبا، وقد قام بعرو  
النمسا وأهلها يتحدثون الألمانية ثم عرا الناطق البولندية الناطمة  
بالألمانية وبعد ذلك منطقة السويد حبوب تشيكوسلوفاكيا  
السابقة وسكانها أيضا كانوا من الناطقين بالألمانية

ومن يتابع تحرك الجيش الناري في نهاية الثلاثينات من لقرن  
لعشرين يتضح له مخطط هتلر الذي كان يقوم في أساسه على  
اللغة فلي كان يعتبرها أحد المكونات الأساسية للنس فخرطة  
لتحرك كانت مطبوعة لخريطة المجتمعات سي تتحد من الألمانية  
لغة للتصاهم.

وكن لوثر بطبيعته الحال أطماع توسعته واستعماريه ادب إلى  
السلع والحرب العالمية الثانية لكن فكرته الرئيسية كانت قيام  
امبراطوريه تضم كل أبناء العصر الألماني الناطقين بالألمانية وقد

فرص على الحلفاء في اتفاقية ميونيخ عام ١٩٣٨ ضم منطقة  
السوديت بجيوب شيكوسلوفاكيا السابقة على أساس أن أهلها  
يتحدثون الألمانية.

مثال آخر من العالم العربي قاد محمد بتحليل حقبة الاستعمار  
من منظور لغوي يتضح لنا أن اللغة لعبت دورا هاما لا زال العرب  
واقعين تحت تأثيره إلى بذية لعرب الواحد والعشرين.

وقد تقاسم الهيمنة على العالم العربي منذ النصف الثاني من  
القرن التاسع عشر دولتان أوروبيتان لكل منهما مفهومها الخاص  
عن رسالتها الثقافية واللغوية. فاحتلرت كآفت تهدف من فرص  
سيطرتها على المستعمرات الاستمادة لمادية والانتفاع بحيرات  
الأرض التي احتلها إلى أقصى حد ممكن ولم تسع بريطانيا  
لحرض أهلها أو ثقافتها على الدول التي استعمرتها في لعالم  
العربي وعلى رأسها مصر.

أما فرنسا فكان لها أحسن الحر بالاضافة إلى الاستمادة لمادية  
وقد كانت حريصة على نشر ثقافتها ولغتها في لدول العربية  
و لأفريقية وعبرها التي وقعت تحت برقتها، وكانت لسيطة  
مصرية مصرص لغتها في المدرس وتحارب العربية أو تسمى  
لتقليصها بقدر المستطاع، وجعلها لهجة للتفاهم الدائي بين أبناء  
لشعوب الخاضعة لها وكان أبناء الحرائر وتوس والمغرب يتعلمون  
في المدارس أن أحداهم هم العالمون وهؤلاء بطبيعة الحال هم  
أجداد الفرنسيين وحدهم

فرنسا إذا لم تكف بالسيطرة على الأرض، لكنها أرادت السيطرة على العقل واكتشمت أن الهيمنة العقلية تمر من خلال الحالة المعوية. ومن الواضح ، رغم سوء نواياها ، أنها كانت على صواب.

وكانت نتيجة السياسة المعوية التي انتهجتها فرنسا أن شعوب المغرب العربي لا زالت إلى الآن مرتبطة ارتباطاً ثقافياً وثيقاً بفرنسا ويقترب منها تفكيرها من المنهاج الفرنسي أكثر منه إلى العربي صحيح أن أبناء الجيل الحالي يبدلون جهوداً جسارة لخصص من سيطرة التأثير الفرنسي والتوصل إلى صيغة يتحمون بها بثقافتهم العربية الأصيلة لكن الأثر الثقافي الذي تركته سنوات الاستعمار لا زال شديد الوطأة على العقل المعاري

ومع ذلك فإنه من المؤكد أن تأثير الشعوب المغربية بالفرنسية قد أعادها كثيراً بعد مرحلة الاستعمار وانعكس في الاسبشة التي تعيشها هذه الدول منذ نهايات القرن العشرين.

والعريب أن المهومين الفرنسي والانجليزى لقضية الثقافة واللغة لا رالا ينعكسان إلى يومنا هذا على موقف الدولتين من الجاليات الأجنبية المقيمة هيهما. هاجلترا، تتعامل مع الجاليات الأجنبية بها وكأنها وحدات مستقلة بثقافتها ولعنتها طالما أنها تصب في صالح الاقتصاد الانجليزى ولا تفكر صمو لأمر لعام. واليهود مثلاً لهم أحياءهم التي يعيشون فيها بلندن، وكأنهم في رومباى أو نيودلهى.

أما فرنسا فترفض هذا المنطق بشدة وتسعى إلى إيجاد مجتمع  
مجانس في الثقافة واللغة والأراج وتتنظر بعين القلق إلى أى محاولة  
للمزج الثقافي أو اللغوي من قبل أى حالة أحسية  
وكان هذا المصهوم هو السبب في انفجار قضية الحجاب في  
مدارس الفرنسية منذ الثمانينات من القرن العشرين.

\*\*\*

ولعل كل هذه المواقف تصب في قالب واحد وهو تأكيد الأهمية  
الحقيقية للغة، ووعي المجتمعات المتقدمة بالدور الحطري الذي يمكن  
أن تقوم به سلباً أو إيجاباً.

ويتزايد إحساس الإنسان بأهمية لغة عندما يزور بلاداً غريبة  
لا يجيد لغتها فيحس وكأنه تائه وصائح تهماً ويشعر بالعجز عن  
الاتصال بالحيطين به وقد يتعرض لمواقف صعبة أو لأخطار بسبب  
جهله باللغة.

ومع تسليم الجميع بأهمية اللغة على مستوى الإنسانية، فإن  
لمجتمعات لغوية تصنع لغة الصناد في مكانة خاصة لا تطالها أى لغة  
أخرى من لا تقترب منها هاللة منذ العصر الجاهلي تلعب دوراً محورياً  
في حياة العرب، كما كانت تسهم في تحديد العلاقات بين الناس  
وهي تحديد طبقات المجتمع جنب إلى جنب مع شرف النسب ووفاء  
المال ولن أطيل في وصف الأهمية التي كان يحظى بها الشعراء أو  
والخطباء في المنة الشعبية، ولم يكن لأمرء يستكفون رواية الشع  
على عكس كل المجتمعات لأخرى التي كانت ترى الفن ولأدب هواية

بحور لا للعامّة هامة، القس ونوفرس لحمداني والمعتمد بن عباد  
كثرو من وراء قومهم على سبيل المثال لا الحصر

من بين هذه حليلة كان بقرص لشعر بمصنفه وهو يريد من  
معاونة بن أبي سمعان ثلثي خمسمائة أمية ويصنف إليه بيت من  
شعر لأبيات بن سبيل بها على اليلاعة العربية يقول فيه  
و عطر بؤنؤ، هر بوجس وسعد وردا وعصب عسل أعاب سامرد

ومهما كانت أهمية اللغة بالنسبة لكافة شعوب العالم عند قدم  
الازل فلا يوجد شعب يعيش لغته ويحلها مثل الشعب العربي  
فالعربي يشقى لحسن اللغة بقدر ما يظرب للعمى الموسمي  
والغة تحكم سيطرتها، السحرية على العقل العربي بصورة غير  
مستوفى وغير موجودة في كافة ثقافات العالم.

وبلخص هليلب حتى فتش العرب بعثهم في كتاب «نارج  
لعرب» (دار الكشاف للنشر والطباعة - بيروت ١٩٦٥) حيث يقول

«وقد أن تجد بين أمم الأرض شعباً كالعرب في شدة إعجابهم  
بالادب وتأثيرهم بالكلام، الأنيق الذي يلقي في مجالس المحاطبة،  
ولهم شغف وهيام كبيران بجمال اللغة سواء رأوها مكتوبة أو  
سمعوها بأذانهم حتى تمتعت اللغة العربية بما لم تتمتع به لغة  
أخرى من الاستيلاء على عقول الناس والسيطرة على أفئدتهم.  
بالرغم من أن هذا الأدب يرد أحياناً في لغة منمقة معقدة  
بفهمون بعضها ويطلق عليهم البعض الآخر...»



## هل هناك لغة عالمية؟

صاحبت لاريح لغة عالمية كانت الأهمية التي تحظى بها اللغة عند نبوة أسوئه و لحصاره التي تستخدمها حتى في الحرية العربية خلال العصر جاهلي كانت لغة فريش هي أهم اللغات صر، لأهمية مكة كمركز التجارة والحج والموقع من طرق تسير بحري وطلب كدك حتى جاء لقرن الكريم لمؤكد يفوق عد فريش وتحيل إلى طي لسياس كل اللغات الأخرى التي كانت مسبوقة من اللغات في الجزيرة

و سوا الذي شير بعض محادل في محادل لغات انيوم هو في شت لغة عالمية في هل هناك لغة يمكن للإنسان استخدامها في أي مكان في العالم ويكون مفهوماً من الجميع في بدايه تسعينات كد رئيس تحرير صحيفة الودل ستريت جورنال الأمريكية مقالاً يقول فيه حرفياً « لغة العالمية هي الانجليزية ».

ولا شك ان هناك معالاه في مقولة رئيس تحرير هذه الصحيفة برعه لأهميه كبرى التي تحظى بها اللغة الانجليزية أو بمعنى

أدق لغة الأمريكية. والمعنى الدقيق لكلمة لغة عالمية أنها لغة يفهمها كل الناس في العالم. وهذا بعيد جدا عن الانجليزية وعن أي لغة أخرى في أي عصر من العصور وعدد المتحدثين بالانجليزية اليوم كلمة أولى لا يتمدى ٢٤١ مليونا كما يتضح من الجدول التالي:

### عدد الناطقين بأهم لغات العالم كلغة أم

اللغة	العدد بالآلاف
الصينية (مندارس)	٨٧٤
هندي	٣٦٦
إنجليزية	٣٤١
إسباني	٣٢٢
عربي	٢٤٠
بنغالي	٢٠٧
برتغالي	١٧٦
روسي	١٦٧

أما عدد الذين يجيدون الإنجليزية في العالم فلا يمكن معرفته بدقة. لكن التقدير الخرافي المتداول هو مليار إنسان يعيشون في قارات العالم الخمس.

وهي التاريخ الإنساني كانت هناك في كل العصور لغة تتفوق على اللغات الأخرى في الأهمية لأنها لغة الحضارة المسيطرة في العالم. كان هذا هو الحال بالنسبة للغة السومرية قبل المسيح بعدة قرون ثم اللاتينية عندما كانت روما القوة العظمى التي تسلط بصودها على

معظم نافع العالم المعروف انداك ومنها مصر وكان لعالم بعيش  
ف يسمى «ناكس رومان» أى السلام لدى تعرضه روما على  
الجمع

وكانت كل المعاملات تتم فى تلك العصور باليونانية ثم  
باليونانية وقد ظهرت هناك كلمة «ترى» وكانت تعنى سيطرة كل  
من ناس يونانى أو رومانى ومن لا يتكلم اليونانية «تقديمه أو  
الاسية كما كان العرب يطلقون بمفظة «أعجمى» على كل من لا  
يحد «عربية» أى كان أصله.

وعندما برع نور الحضارة الإسلامية أصبحت العربية هى لغة  
العلم والمعرفة و لم يبق فى كل المجالات وكى علماء العالم يضطرون  
إلى الإلمام بالعربية ليكونوا على معرفة بأحر ما وصل إليه العلم  
بحديث فى ذلك العصر فظروا لأن كل الاكتشافات والبحوث  
العلمية لقمة كانت تكتب بالعربية وبما كما أن علماء العالم  
لبوم الذين يجهلون الانجليزية يصبحون متعلمين عن ركب العلم  
والعرفه فإن علماء الماضى كانوا يضطرون اضطرار لتعلم العربية  
فكل الأبحاث والأدوات العلمية التى كانت سهل حيا للإست  
كانت تنطق من العالم العربى الإسلامى وبصاغ بلغة لصاد

وبعد عصر النهضة كانت الفرنسية هى لغة المعاهد و لغة  
لدى مناسبة خاصة فى عصر لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥)  
الذى كان يلقب بالملك الشمس وقد اتحد هذا الملك من مصر  
فرنسى مقر له فأصبحت فرنسى محاضرة لعالم ندال ، وصارت

المرسية لغة تهاجم رئيسية وخاصة في بلاط ملوك أوروبا وفي المحافل الدبلوماسية حتى بداية القرن العشرين.

\*\*\*

اللغة المسيطرة إذا ليست ظاهرة جديدة لم يعرفها العالم إلا مع الانجليزية الأمريكية. لكن المؤكد أن وسائل الإعلام الحديثة و انتشار التلفزيون والإنترنت وسهولة الانتقال جعلت الانجليزية فرصة لم تكن متاحة لأي لغة أخرى سيطرت حصارها على العالم في الماضي فقد كان العارفون باللغة المسيطرة من خارج أصعابها في الماضي هم شريحة ضئيلة جدا من المتعلمين والمفكرين. أما اليوم فإن معرفه الانجليزية أصبحت شائعة في الطبقات العليا لكل المجتمعات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وصبح أى مثقف فى أى ركن من أركان العالم مطالب بالإلمام بهذه اللغة وإلا فإن ثقافته ستكون محلية ومحدودة.

وإذا كانت لانجليزية هي اللغة المهيمنة على عالمنا اليوم فإن لفصل في ذلك لا يرجع الى انحسار برغم كونها أم هذه اللغة وموطنها الأصلي. إنما المصير يعود للولايات المتحدة الأمريكية التي نحدث الانجليزية لغة رسمية منذ إنشائها في عام ١٧٧٦ .

ولأن الولايات المتحدة أصبحت القوة العظمى الأولى في عالم اليوم وصارت رائدة في مجالات العلم والفن والإعلام ولصناعة فإن لغتها تصدرت لغات العالم وأصبحت اللغة لمدولة بين الصموة وفي المعاملات الدولية وفي الندوات السياسية والعلمية والثقافية الدولية كذا لك فإن أهم الأبحاث العلمية و لعميه يتم بداؤها

بالبحرية ويطبع النشر والمجلات المتخصصة في كل المجالات  
بعمية بالانجليزية الأمريكية دون غيرها

وكما يحل الأمريكيون في فرض الدولار كعملة لتداول الأساسية  
في عالم يحول تصد في جعل لغتهم هي لغة لتصاها الرئيسية  
في كل المجالات فالعمود الكبرى والاتفاقات الدولية وكتابات  
بعضه صدرت تكتب بالانجليزية وقد صبح من الصعب الآن على  
ي إنسان يسعى للتصاها على عالم لمعرفة في أي مجال من  
مخالات الحياة أن يحل الإنجليزية جهلاً تماماً.

لكن ما لا يدركه كثيرون هو أن السوء "المعوية" لا يعني  
بالضرورة الاشارة فاللغة الانجليزية برغم مكانتها ليست أكثر رعا  
بمنه بد اولاً كما هو واضح من الجدول

### نسبة الناطقين بأهم لغات العالم كنسبة ام (النسبة بالمائة)

البلد	السنة				
	١٩٥٨	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٢	٢٠٠١
لغوية مصادر	١٥,٦	١٦,٦	١٥,٨	١٥,٢	١٤,٥
لغوية	٥,٢	٥,٣	٥,٣	٦,٤	٦,١
الانجليزية	٩,٨	٩,١	٨,٧	٧,٦	٥,٧
الإسبانية	٥,٠	٥,٢	٥,٥	٦,١	٥,٤
عربية	٢,٧	٢,٩	٣,٣	٣,٥	٤,٠
الروسية	٥,٥	٥,٦	٦,٠	٤,٩	٦,٨

لا توجد احصائيات موثوق بها عن اللغات منذ عام ٢

٢ مرجع الانحصار الواحد في عدد الناطقين بالروسية في عام ٢ إلى أن العديد من

دول الاتحاد السوفيتي السابق لم تعد تعتبر الروسية لغتها الأم

ويتضح من الجدول أن اللغة الإنجليزية هي الثالثة في العالم من حيث عدد المتحدثين بها بعد لغة المندارين أكثر لغات الصين انتشاراً و لغة الهندية.

ولأهم من ذلك هو أن عدد الناطقين بالإنجليزية كلفة أم قد تضاعف في تسويات السابقة نسبة إلى سكان الكرة الأرضية لحساب لغات أخرى من بينها العربية لكن المهم أن الانجليزية أصبحت لغة الرجال والنساء المؤثرين في العالم فرجال السياسة و لسيو ماسية ورجال المال والاقتصاد والعلوم بتماهمون فيما بينهم بالإنجليزية وباختصار فإنه إذا أراد أى شخص محظمين في اللغة والثقافة لتمامهم فيما بينهم فإنهما علينا ما يلجأ إلى الانجليزية كلغة مشتركة بينهما.

وكان من الطبيعي أن يأتي رد الفعل لرهص لهيمنة الإنجليزية من أصحاب اللغة الثانية في العالم من حيث الأهمية، وهي الفرنسية. وكانت الفرنسية حتى منتصف القرن العشرين منافس عتيداً للإنجليزية ثم تراجعت بصورة واضحة خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر عندما أصبحت انحلترا وعرسا دولتين من الدرجة الثانية.

ويهدف مواجأة احتكار الأنجو - أمريكية أشأت عرسا تجمعها أطلقت عليه اسم «المر كوهوية» أى الناطقين بالفرنسية، والهدف الرسمي لهذا التجمع هو الدفاع عن التنوع الثقافي ورفض سيطرة لغة واحدة وقوة و حدة على العالم وعد انضمت لهذا التجمع سبع

دول عربية من بينها مصر. ولأن الناطقين بالفرنسية في مصر عددهم محدود للغاية، فمن بوسع أن يقرر انضمامها كان وراءه هدف سياسي لكنه يقوم على البعد لغوي

ومن يرقب تطور اللغات في العالم يتضح له أن الهيكل العام لاستخدام اللغات الحية لم يتغير كثيراً خلال نصف النسي من القرن العشرين حتى اليوم كما يتضح من الجدول السابق.

هناك لغات انخفضت نسبة مستخدميها قليلاً بفعل النمو الديمغرافي لدول الحبوب على حساب دول لشمال الغنية فلتت مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية وروسية والاسبانية عادت من هبوط نسبي في سنة الناطقين بها

وفي مدينة دافوس السويسرية يجتمع سنوياً نحو ألف من أهم متخذي القرار في العالم وخاصة في المجال الاقتصادي ويصن الورق المالي المرتادي متدي دافوس إلى رقم فكي يرمز على مئات المطارات من دولارات وحلال أسبوع تدور سواب وجلسات بحث بين هؤلاء وبعض زعماء رجال سياسة الدوليين حول قضايا العالم الأساسية

ولأن المشاركين في المنتدى بتموز لعشرات الدول الناطقة بلغات مختلفة فإن السؤال هو كيف يتفهم كل هؤلاء آحادية وأنه من متدي دافوس إلا توجد أية ترجمة في اللغات واسدوات

و لإحاطة بسبغة هي أن اللغة الوحيدة المستخدمة في الندوات و لقاءات هي الانجليزية وعلى الرغم من محاولات الناطقين

باللغة الفرنسية هي تنوع لغات المستدى ودخال المدرسة ولو كلفة ثانوية للتعامل به، إلا أن الإنجليزية لا زالت تسيطر بلا منازع على المشاركين في منتدى دافوس. ويطبق ذلك على عالمية البدوات والمؤتمرات العلمية والثقافية الدولية في العالم.

ومن المشروع أن نساءل لماذا نجحت الإنجليزية في أن تهيمن تماما وتصبح لغة التعامل الدولي في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ؟

لا شك في أن السبب الأول كما قلنا هو أن الولايات المتحدة صارت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القوة الأولى في العالم. بل إنها أصبحت القوة لمتحكمة في مصائر الشعوب ولا تكتفى أميركا ببسط سيطرتها سياسيا واقتصاديا فقط ولكنها صارت أكبر مصدر للثقافة بالمعنى الواسع للكلمة. فهي أكبر مصدر للأفلام والأشياء والرمج التلصيرية والسمي دي والإنترنت.

وقلها، كاتب لامبراطورية ليوطانية لن لا نغيب عنها الشمس تسعى لنشر ثقافتها ولغتها. لكن العصر احتلف حيث أصبحت أدوات الاتصال والإعلام و المعرفه غولا يسمح اليوم لأمريكا بتحقيق ما فشلت فيه بريطانيا في القرن التاسع عشر وبداية العشرين. ويصل إجمالي الناتج القومي لمجموع الدول الناطقة بالإنجليزية اليوم إلى ٣١٪ من الناتج القومي لعالمى. أما دول الناطقة بالعربية فلا تمثل سوى ٦,٦٪ من إجمالي الناتج القومي لعالمى.



لكن القوة ليست لسبب الأوحده هي السيطرة اللغوية. فمن أهم ما يساعد على هيمنة الإنجليزية اليوم سهوله الشديدة بهذه اللغة خاصة بعد أن عبرت المحيط الأطنطلى من موطنها لأصلى بريطانيا إلى قاره أمريكا الشمالية فقد احتهد الأمريكيون ليجمعو من لغة شيكسبير لغة مبسطة ومباشرة أصبحت أدبه طبعه يستصح أى طعن أن يتعلم قو عندها ويمتلك ناصيتها دون أن يعنى الأحرار كما هو الحال بالنسبة لأطفال الوطن العربى.

وقد طلبوا عنى اللغة ما ندى به الدكتور طه حسين لفرنسة هي بديهى الضرر المائى. فهم يحتهدون لكتابها حسبما تنطق وليس حسب لفوعد الكتابة القديمة المبينة على أصل تكوين الكلمات. وكفى لأفى طه حسين من هجوم وسعيرة بسبب اقتصر حه أدى بضقة اليوم القوى تعظمى اللغويه الأولى هي العالم

وسهوله اللغة واستحانتها لاحتياحت لإسدر فى التعبير عر بمسه جعلت الكثيرين يقبلون على تعلم الإنجليزية فهي لآس عرق وقنا وجهدا كلمات أخرى مهمة مثل الفرنسية والإسبانية بالإضافة إلى تموقعها هي لأهمية العمية على كل لغات العالم اليوم



وقد حاولت شعوب أخرى لها حصار ب قديمة وراسحة أن تقوم هي لأخرى بعملية مواءمة لقوية حاول لفرنسيون والألمى والإنطاليون لكنهم لم ينجحوا بحاج لأمريكيين هي تحقيق دلب عى الرغم من جهودهم الصالحة لتطويع لغاتهم لمنطلقات لمصر الحديث.

ففى الفرنسية مثلاً أكثر من عشر تصريفات محتملة للأفعال عبر بدلة شديدة عن زمن الفعل فيمكن بالفرنسية مثلاً أن نتحدث عن حدثين متتابعين وفعلاً فى الماضى هتمرف من مجرد تصريف لفعل أيهما لسابق على الآخر. وتذكر كم عانيت فى حصول الدراسة لحفظ هذه التصريفات المعقدة نسبياً و لقي كانت مستخدمة وشائعة حتى منتصف القرن العشرين

أما اليوم فقد صارت اللغة الفرنسية أكثر سهولة واحتفت غالبية التصريفات المعقدة ولم يعد هناك إلا بصع بصريفات تعبر عن الأمانة المطلوبة من ماضٍ ومضارع ومستقبل.

ومع كل هذه الجهود لا زالت الفرنسية لغة صعبة مقارنة بالأمريكية فقد نجح الأمريكيون فى عبثة اللغة الإنجليزية وإزالة شوائبها وقاموا بعملية شبيهة ما يفعله «الحرار» الماهر عند ما «يشقى» اللحوم فيسببها ما لا يفيد ولا يهتمط إلا بالضرورى والقانع.

والمهم أن التطوير الضخم الذى أدخله الأمريكيون على الإنجليزية لا يؤدى إطلاقاً إلى عجزها عن التعبير لأدبى، البالغ فقد أبدع بها كتاب أمريكيون عظام مثل همسجوى و جون شتاينبيك وثر ميلر وقد ارتفع هؤلاء باللغة وبالمعنى إلى مستويات رفيعة تتناسب مع العصر وتواءم مع مزاج الإنسان المعاصر، مما يدل على أنه لا يوجد أية علاقة بين البساطة وبسقية اللغة وكثرة مترادفها.

وقد وضعت الجمعية الأمريكية لأساسة اللغة مرسية في  
شرة بعنوان "أهم اللغات" ( شرة رقم ٢ لعام ١٩٩٩ ) ستة معايير  
تقس أهمية كل لغة وهي الآتية

( أ ) عدد المتحدثين بها كلمة أم .

( ب ) عدد المتحدثين كلمة ثابتة .

( ج ) عدد الدول وعدد سكانها الذين يتحدثون اللغة

( د ) عدد المحالات الأساسية (العلوم، الدبلوماسية وغيرها) التي  
تستخدم فيها لغة على الصعيد الدولي .

( هـ ) القوة الاقتصادية للدول التي تستخدم هذه اللغة

( و ) لأشعاع الثقافى والارى للدول التي تستخدم هذه اللغة

ومن هذه المطلق وقد وضعو لكل لغة عددا من النقاط يعكس  
هبيتها وجاء ترتيب أهمية اللغات كالآتى

اللغة	عدد النقاط
الإنجليزية	٣٦
٢ - الفرنسية	٢٣
٣ - الإسبانية	٢١
٤ - الروسية	١٦
٥ - العربية	١٤
٦ - الصينية	١٣
٧ - الألمانية	١٣
٨ - اليابانية	١٠
٩ - البرتغالية	١٠
١٠ - الهندو أوردية	٩

وإذا أردنا أن نعرف مكانة العربية بين لغات العالم من خلال بعض المعايير الهامة بوضوح لنا ما يلي: "نُها الخامسة هي العالم من حيث عدد الناطقين بها، والثامنة من حيث إجمالي الناتج القومي لكن هناك محالات تترجم فيها لغة الصدا بشكل لاعت للنظر فمن محال النشر يتم سويًا طاعة ما يقرب من ٧٠٠ ألف كتاب وتقف العربية في موقع لا تحسد عليه حيث أنها رقم ٢٢ من بين لغات العالم في هذا المجال.

أما في شبكة الإنترنت التي تعد من المعايير الهامة للقدم العالمية الإنجليزية هي، لوحش المسيطر بنسبة تزيد عن ٨٤% من إجمالي ما يتم تداوله على شاشات الكمبيوتر في العالم وهناك فجوة صاعدة بينها وبين اللغة الثانية وهي الألمانية، التي لا يزيد حجمها عن ٥% تليها اليابانية (١، ٢) ثم الفرنسية (٨، ١) أما العربية فهم أحد لها أثرا بين الدول الخمس عشرة الأولى الأكثر استخداما على الإنترنت.

وإذا كان تعبير لغة عالمية لا ينطبق الآن بدقة على أي من لغات العالم في بداية القرن الحادي والعشرين فإن أقرب لغة إلى هذا المعنى هي بالتأكيد، الإنجلو الأمريكية. فقد نجحت هذه اللغة في أن تكون قاسما مشتركا أعظم بين كل الذين يتطلب عملهم الاتصال بآحرين من دول أو ثقافات أخرى. وبالتالي هالإنجلو. الأمريكية هي المرشحة لتحقيق حلم الإسبرانتو أي أن تكون لغة تواصل عالمية.

ما يريد أن يستخلصه من الحديث عن لغة عالمية هو أن سيطرة  
الانحلو - أمريكية لا تأتى فقط من كونها لغة الدولة المهيمنة هي  
عالم ما بعد الحرب الباردة، وإنما أيضا لأنها لغة سهلة، طيعة،  
يتطلب تعلم مبادئها جهدا أقل من أى لغة أخرى هي العالم، وبالتالي  
فإن من يتقنها يصل إلى المعرفة من أقصر الطرق . على عكس  
العربية.

\*\*\*

## رسالة إلى حراس الضاد

أعرف مسبقاً أن الآراء الواردة في هذا الفصل والفصول  
لقدمه ستعبد على انتقادات غريبة ممن يعتبرون أنفسهم حراس  
لغة وراث السلف في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية  
كنى اعتبر أن كسر خطر سنو حه اللغة العربية في السنوات  
لقدمة يتمثل تحديداً في أنصار لتحمد ورهص التوحيد، وفي  
رأى، لموضع أن الدين بتصورون أنفسهم حماة اللغة العربية هم  
الذين يعرضونها لأكبر الأخطار برهص التطوير بل الثورة التي  
تستلزمها اللغة في بداية القرن الحادى ولعشرين لىظلل لسان  
العرب، المشترك في الألفية الثالثة.

وأنا متقنع أن ما اقترحه في هذا الكتاب هو . في خطوطه  
نعرصة . وسيلة الوحيدة لإنقاذ العرصة وجروجها من المارق  
الحصير الذى تعانى منه ليوم أكثر من أى يوم مضى للأسباب التى  
أوضحنها في المقدمة ..

فلعلنا فى حاجة الى انتعاشة تحديثية عاجلة.. والا فإياها قد  
تعرض لخطر التثاقف وريما الاحتفاء لا قدر الله، كلفة حية  
يستخدمها الناس فى التعامل فيما بينهم. وقد تتحول إلى لغة لا  
يعرفها سوى بعض العلماء والمتخصصين، ويتعلمها الناس لقراءة  
القرآن الكريم فقط.

فمن يرقب تطور اللغة فى البلدان العربية يعتقد أن لغتنا  
الأصيلة مهددة بالصياع لحساب اللهجات التى يستخدمها الناس  
فى الأقطار العربية المختلفة للتعبير عن أنفسهم فى حياتهم  
ليومية وهناك تصور واضح ومتزايد لدى الشباب من تعلم قواعد  
اللغة المعقدة والمفردات والتراكيب التى يحفى عليها الرمن ولم تعد  
تقى باحتياجات الإنسان الحديث فى التعبير عن نفسه.

وكما اجتاحت مظاهر التطور وسرعة إيقاع الحياة مجتمعات  
العالم العربى كلما ازداد الشعور العربى العام وحاصة لدى الشباب  
بأن لغة الصناد لا تسعف فى هذا الزمان المتسارع الإيقاع، الذى  
يصل فيه الناس إلى المعلومات وإلى المعانى فى أسرع وقت ممكن  
وأكثر الطرق مباشرة.

وقد سبقنى بعض كبار المفكرين وعائلة الثقافة منذ رفاعة  
الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣) فى محاولة وضع أصابعهم على أسباب  
تحلل العالم العربى عن ركب الحضارة وحاصة عن العالم العربى.  
لكن أحدا من هؤلاء العمالقة لم يتطرق إلى قضية اللغة بطريقة  
مباشرة أو اعتبرها عائقا لتقدم العالم العربى وأزدهاره.

وأما مقتنع أن اللعبة ليس أندعب أعظم وأرق ما كتب في تاريخ، لمشيرة صارت اليوم مثل عجور محط في حاجة إلى عملات عاجلة للعودة إلى الصبا والمخلص من آثار الرهر، فالعربية كما قلت في المقدمة، هي اللعبة، لحية الوحيدة في العالم التي لم يطرأ على قواعدها، الأساسية أي تعديل مند أكثر من خمسة عشر قرنا كاملة.

أما باقي ألعاب الحية فهي إما حديثه سعي أو قديمة ولكن طرأت عليها، تغييرات أساسية حواكه، لعصر

وإد أحدا، الألعاب الأوروبية نجد أنها، ارتطبت بصورة أو بأخرى بعصر النهضة وقد تبورت كلها في شكلها الحالي في حدود لقربين الخامس والسادس عشر وقد لعب خراع الطباخة على يد الالماني حوتبرج في منتصف القرن الخامس عشر دورا حاسما في تطوير الألعاب الأوروبية

فالمرسية مثلا لا يتجاوز عمرها خمسة قرون، وكانت فرنسا مقسمة عود هي، لعصور لوسطى إلى شمال يتحدث الناس هذه لغة تسمى «أويل» وحنوب تستخدم لغة «أوك». ويذكرنا هذا باللغة الهندسية في شمال الجزيرة العربية ولغة حمير هي حوبها ولم يصح لمرسية لغة رسمه إلا في عام ١٥٢٩ يهوجب مرسوم ملكي صدره ملك فرنسا فرسوا لأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧) وعرف باسم مرسوم هيلبرس. كوتره.



أما الإنجليزية فإن دائره المعارف البريطانية تشير إلى أن المؤرخين يجمعون في عالييتهم على أنها بدأت نحو عام ١٥٠٠ في صورها التي نعرفها حاليًا وكما أن موسيى (١٥٣٣ - ١٥٩٢) كان أول من أبتدع بالمرسية فإن الرائد الأول للإنجليزية هو تشوسر (١٣٤٠ - ١٤٠٠) لكن حتى مع حداثة هاتين اللغتين بالنسبة للعربية، فقد طرأت عليهما تغييرات أساسية، ولم تكن نتيجة التطور الطبيعي فحسب، وإنما بفعل تعديلات هي القواعد ولتراكيب هجرت إذا رجعنا لغة مونتيسى، أول من كتب بالمرسية الحديثة لوجدنا فروقا جوهريه مع المرسية التي نستخدمها، الكتاب اليوم

كذلك لو قارنا بين الإنجليزية التي كان يكتب بها شيكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٥) مسرحياته الحالده، واللغة الإنجليزية المعروفة اليوم لوجدنا فروقا لا يمكن أن نحصى على أحد، وكما هي المرسية فإن التعبير ليس في تطور الأسلوب وإذا حال كلمات جديده فحسب وإنما هي القواعد الأساسية التي تصبغ النحو والصرف في اللغتين

إذا فحتى اللغات الحديثة بسببها تطورت من أجل مجازاة العصر ولكن نكس بأمانة احتياجات الإنسان العصري التي تختلف حذريا عن احتياجات سابقه الدين عاشوا من مئات السنين.

أما اللغات القديمة مثل العبرية واليونانية والصينية فإنها تختلف اليوم احتلافها حذريا عن اللغات لأصلية التي كانت مستخدمة منذ أكثر من ألفى عام والحدير بالملاحظة أن عمليات

المتطور التي عرفتها التصيية كانت تتم بطريقة تصفية مرة كل نحو خمسمائة عام.

و الخلاصة هي أن الفريية هي البعة الوحيدة على وجه الأرض التي لم تطور قواعدها ونحوها وصرفها عند ألف وخمسمائة عام. وهي البعة الوحيدة في العالم التي أصر الناطقون بها على تحنيطها وبدو كل الجهود للحفاظ على «بقائها».

\*\*\*

ولأن اللغة هي انعكاس لاحتياجات مجتمع في شعوبهم واللغات فلا يمثل أن تكون احتياجات مجتمع لغوي في القرن الواحد والعشرين مماثلة لاحتياجات سكان البدايه في لقرن الخامس الميلادي قبل ظهور الإسلام ولغة هي المحدد الرئيسي لأسلوب التفكير ورؤية الدنيا فهي يعقل اننا ن فكر اليوم مثل لدو في القرن الخامس الميلادي بالحريجة لغرية وأن رؤيتنا لدنيا لا تختلف عن رؤيتهم ؟

ولو كن ذلك صحيحا لكن دليلا على تحصيل الشبيبة فسة حية أن تطور الفكر ويرتقى إلى آفاق أرحب بالتوازي مع اتقدم المادي مجتمع. ولا يمكن لإنسان لقرن الواحد والعشرين أن يرى الدنيا كالبداوي هي صعر لقرن الخامس الهجري الذي لم يكن يعرف عن عالم شيئا وكانت كل فافة هي كيان الصحراء المحنطة به

ولأن البعة هي مرآة أمتيه لتطور العمل. فإن عدم تطور هو عدم اللغة الفريية منذ ١٥٠٠ عام يحمل دلالات خطيرة أبركي بلصاري أن يستتجها بنفسه

صحيح أنه علينا أن نضجر بأن أجدادنا وضعوا نعمة حميلة كانت قادرة على تحدى الزمن وعلى التعبير عن أدق المعاني وأجسر المشاعر، إلا أنه لا يمكن أن تستمر العربية في غياب تطوير جذري في قواعدها دون مواجعة خطر فقدان هويتها

وكان أعظم ما نزل بالعربية هو لمرآة الكريم. وهذا يجعلنا أكثر حرصاً على الحفاظ على لغتنا الجميلة وأكثر تمسكاً بها والحفاظ عليها يستوجب العمل على تطويرها دون إبطاء حتى توكب متطلبات العصر في الصيغة والمردات وقواعد النحو والصرف.

وتدل كل المؤشرات على أن الشباب حتى من حريجي أخص لجامعات العربية أصبحوا يكتبون بلغة ركيكة ويقعون في أخطاء لغوية فادحة، حتى حريجي كليات من المقترص أن يستخدموا العربية لممارسة عملهم مثل الحقوق والآداب قد وصلوا في لأونة الأخيرة إلى مستوى لا يصدق من التلويح في الإلتزام باللغة وقواعدها.

وقد دأب الكتاب والمثقفون على السحرية من هؤلاء الشباب وصب لغنائهم على هذا الزمان واكتفوا بذلك، فهم يعتبرون أن كل من لا يحيد قواعد العربية ويخطئ في النحو جاهل ولا علاقه له بالعلم. والكل مجتم على أن النسب الوحيد في هذه المحنة هي استهتر هؤلاء الشباب ورفضهم لبديل أي مجهود من أجل تنعيم قواعد اللغة العربية ونحوها.

وهم يؤكدون أن الشباب فاشل في كل العلوم التي يتقنها هي المدرسة والحامعة وليس هي اللغة العربية وحدها، وهذا دليل على عدم حديثهم لكن هذا الرأي يناقضه الواقع الذي يدل على أن المصور هي معرفته العربية لا يضع على شباب وحدهم كما لا يقع على أبناء هذا الجيل وحدهم ولكنه قديم قدم اللغة نفسها.

والسكوى من الصعف في اللغة كان موحوداً هي كل حقة من  
خارج لحصوه العربية الإسلامية كما سيكتشف من خلال فصول  
هذا الكتاب، وقد حرص شاعر النيل حافظ إبراهيم هذا الهادس  
في قصيدته شهيرة بشرها عام ١٩٢٦ بعنوان «العة العربية تعي  
حظها بين أهلها»، يقول في مطلعها

وكتب لنفسه كتاباً في الأدب فسمى فاحشست حبلى وهو ما يتحدث بهما اللغة العربية فيقول أنها اتهمت نفسها أولاً بأنها السبب في ضعفها الظاهر على ألسنة الناس، ثم حاولت أن تنادي بالناطقين بالعربية لنجدة عدلونها فاحتسبت نفسها عبيد الله

ولا نقدر حول أن المناطق بالعربية من الشباب وعبر الشباب  
ممن يحطون في قواعد اللعبة وممراتها يحملون مسؤولية كبيرة  
في ضعف مستوهم اللغوي لكن هل فكر أحد في طرح السؤال  
بأنى هل الخطأ في هؤلاء الشباب وفي المناطق بلغة الصاد  
عنده في هذا الزمان وحدهم ؟ أم أن السبب يقع كذلك على تحجر  
اللغة وعدم ملائمتها بتطلعات العصر ؟ وهل نحن هو طرف اللعبة

التقليدية كما هي دون تطوير على أساس أنها لغة التراث، ولأدب والثقافة العربية وأن أي مساس بقواعدها هو عدوان على الدين والمقدسات ؟ أم أنه آن الأوان أن نمكر في كيمية تطوير اللغة لتلائم مقتضيات عصر جديد ومكر حديد لا بد من التعبير عنهما بأسلوب جديد ؟

أعلم أن هذه الأسئلة تمثّر خروجاً قد لا يقبله البعض عن أساليب التفكير التقليدية، واقتراباً من مناطق حساسة يقف على أبوابها الموصدة هريق من العلماء المؤمنين بضرورة الحفاظ على التراث اللغوي كما هو دون أدنى تحريف. وهؤلاء العلماء يعتبرون أي كلام عن تحديث اللغة بمثابة خوص في المحظور وخروج عن إطار الدين الحبيب، وهم يتعنّون أحياناً في تعقيد اللغة وتعقيرها حتى تتعلق أكثر فأكثر على العامة فيصبحوا هم فئة متميزة ترتفع فوق باقي الناس بحذقها اللغوي

وظاهرة رفض المساس باللغة العربية هي جزء من ظاهرة أعم أصبحت مهيمنة على المجتمعات العربية.

فقد استشرى منذ الثلث الأخير من القرن العشرين تيار جارف يعتمر كل جديد بدعة مكروهة ويرى في أي فكر حر متطور محاولة شيطانية لتقليد الغرب، ويبدأ للدين والثقافة العربية الأصيلة ويعتبر أصحاب هذا التيار أن واجبهم المقدس هو الوقوف بالمرصاد في وجه كل من تمسول له نفسه الخروج عن قوالب التفكير الجامدة ومحاولة تطوير الموروث وتسفى وراء الجديد

وهذا الانحاء المحاطة الرافض من حيث المسدأ لأى تحديد  
 موجود عند حجر الناربج فى كل المحتمعات الإنسانية وقد أثبت هو  
 كتاب «الداء العربى» كم عسى الرسول الكريم ﷺ نفسه من بحار  
 الحمود لدين وصفهم القرآن قتلا \* وبدا قيل لهم ائغوا ما أنى ائنة  
 نلوا من نبع ما وحدثنا عبه آباءنا ( لقمان ٢٢ ).

\*\*\*

وهناك معارك كثيرة فى تاريخ لحصاره العربية الإسلامية  
 وحضارات أخرى صطدم فيها العكر الحدد بحراس الماصى  
 ومن أشهر المعارك التى وقعت فى تاريخ لأدب لعالمى «معركة  
 هرنانى» وهذه لتسمية معروفة لكل من يهتم بالأدب لعالمى  
 ولعربى خاصة وقد شأئت عندما كتب شاعر عربى الأشهر  
 فكور هو جو ( ٢ ١٨ - ١٨٨٥ ) مسرحية باسم هرنانى عام ١٨٣٠  
 حطم فيها كل لقولب الجامعة التى البرم بها المسرح لعربى عند  
 عصره الذهبى فى القرن السابع عشر وصرب هو جو عرص  
 لحائط بواحد من أسس المسرح لكلاسيكى الأوروبى وهى قاعدة  
 وحدة المكان و لزمان والموضوع. كما خرج عن القرب الشعربى  
 المعروف باسم «الكساندرا» أى «السكندرى» و لدى سكور من شتى  
 عشر وحده صوونة

وشاح نصار القدم واعتبروا أن هو جو مارق ومحطم لتقاليد  
 فى صعب مجد هرنانى وأعرب اتهام وجه إليه ندى هو لحروج

على تعاليم الديانة المسيحية والكنيسة الكاثوليكية، حامية التقاليد لراسخة التي استقر عليها المجتمع. وفي يوم افتتاح المسرحية نشبت معركة عيمة وصلت إلى حد التشاك بالأيدي بين أنصار القديم والجديد.

لكن التطور الذي أحدثه هوجو هو الذي انتصر في النهاية وتحرر المسرح الأوروبي والعالمي من القيود التي ربما كانت تناسب زمتنا من الأزمان لكنها تتصادم مع طبيعة التطور التي استتتها له هي الأرض.

وهذا أثبتت تجربة أن الزعة إلى التفوق والخوف من العائم الخارجي تظهر وتستشري بالتوازي مع الانحسار الحضاري. فالحصارات القوية الواثمة من نفسها تكون عادة على استعداد لتقبل الفكر الواحد من الخارج ومناقشته والتعرف عليه ونقل ما قد يفيد منه.

ومع ذلك فإميل إلى رفض كل جديد نرعة كامنة هي كل المجتمعات البشرية على مر التاريخ بصورة أو بأخرى. ومن الممكن إعادة قراءة التاريخ الفكري للإنسانية من منظور الصراع الدائم بين حراس القديم ودعاة التحديث. ففي كل مرة طرأت فيها على مجتمع من المجتمعات تعيرت موضوعية، تستوجب تأقلم الفكر والثقافة والقوانين من أجل مطابقة الواقع المستحدث، نجد دائماً من يهب للتمسك بالموروث دون تطوير، ويقاوم بكل شراسة كل تطل المرجعية الوحيدة هي مرجعية السلف.

وكم استلزم حراس القديم الأديان في كل زمان لوقف أي تطور وحجب أي رؤى وآراء جديدة وما يحدث اليوم في العالم العربي هو تكرار لما وقع منذ العصر الجاهلي، مروراً بكل عصور الدول الأموية والعباسية والعثمانية وغيرها وحتى العصر الحديث



وإذا قمنا بالمراجعة التاريخية التي أقترحها فسوف نستخلص منها أن أنصار التمسك يتصورون دائماً في المدى الآتي والقريب، لكن كل تجارب الماضي تثبت أن حركة التجديد التي أجهضت ترك دائماً أثراً إيجابية وتؤدي إلى تقدم ولو محدود إلى الأمام.

و لعريب أن من يقرأ تاريخ تطور الفكر الإسلامي يكتشف أن حراس التقدم يتشددون دائماً بنفس الحجج وبدت المنطق، وخلصته أن التجديد هو قطيعة مع الدين وأصوله وخروج عن تعاليمه، وأن أي فكر خارج عن الإطار الذي وضعه السلف يعد خطراً داهماً على الأمة الإسلامية وعلى ديننا الحنيف. ويقوم فكر هؤلاء على المسلمات التي لا تناقش، والمحرمات التي يحظر الاقتراء منها ومبدؤهم الراسخ هو التسليم التام برأي السلف وقطع رقبة من يجترأ على طرح أفكار جديدة.

ويستند هؤلاء على حرصيات من الدين ينطلقون في تفسيرها من أرضية منطقتهم الرافض للتقدم، هيستخلصون منها نتائج معيكة لا علاقة لها بالدين الإسلامي من قريب أو بعيد، ويقض



حراس الماضى ضد كل فكر يعلى قيم الحرية والديمقراطية وتحرير المرأة وسعادة الإنسان المادية على الأرض. مع أن الدين الإسلامى قد أنزل من السماء رحمة للعالمين ومن أجل سعادة بنى آدم.

ولو السرمما بكلام حراس الماضى، لظلت مجتمعاتنا العربية فى حالة من التحف لمربع، ولكننا اليوم نحس النساء فى البيوت ويكتفى بتحصيط القصران لكريم بديلا عن مدارس والجامعات والمدية، ولما كان عندنا تليفزيون أو داعة أو صحف ولا نعرفنا ناه عن لعالم الخارجى، لو استمعنا على مر العصور إلى أنصار القديم لكانت حياتنا اليوم جحيما لا يطاق ويتعارض مع المبادئ الحقيقية لدينا لذى يدعون إلى طلب العلم ولو هى الصي

ومن وأخبا اليوم ألا نستمع إلى دعاوى حراس الماضى لباطنا ومحاولتهم تخويف وترويع كل من يطالب بالتغيير والتطور للملاحقة ما وصل إليه العالم المتقدم.

\*\*\*

لكن الحيدة العمية تدعونا إلى أن نذكر أن أنصار الماضى لمبو أحيانا دورا إيجابيا فى لحفاظ على التراث وعلى التقاليد الأصيلة لمجتمعهم فى مواجهة تيارات تسعى إلى التحدى من أجل التغيير ورفضاً لكل ما هو قديم دون تمبير، فكما أن هناك من يخاف أى تعديل لما شأ عبه وتربى على احترامه وتقديسه فهناك من يدعو طيمه إلى الثورة على كل شىء، ومحاولة العصف بأى فكر قديم

ومجموعة القيم والتقاليد المؤسسة للمجتمع الذي يعيش فيه وذلك كرد فعل على قيود الأفكار المتوارثة من جيل إلى جيل ويقول شوقي في هؤلاء.

أخذ جدو عصاة معتوه يحدون كل قديم شئنا مكررا

وتطور المجتمعات يكون عادة في لتوارث بين لتغيرات. والمحافظة على القيم والمثل التي بعد اليوتقة التي يصهر هيها أي مجتمع من المجتمعات هي صمام الأمان الحافظ على استقراره وتماسكه لكن الاكتفاء بالموروث وحده يجعل المجتمع يتفوق على نفسه ويتحجر ثم يذبل شيئا فشيئا فكل مجتمع هي حاجة إلى حركات منظمة من التغيير والتبديل من أجل الاستمرار في الحياة.

وكما تأخر المجتمع في قبول الجديد تزداد الحاجة إلى هزة قوى للفكر المتوارث فكل مجتمع هي حاجة ماسة خلال كل حقبة من أجيال يتجاري التطور الطبيعي للحياة لذلك كانت عمليات إعادة النظر في الموروث لازمة في كل عصر لاستمرار لتطور وإنحائه مستقبلا.

وفي الماضي كان تطور الحياة الطبيعي بطيئا للغاية. أما اليوم فقد أصبحت ضرورة تطويع المجتمع لتطور أكثر إلحاحا خلال فترات زمنية قصيرة للغاية نظرا للإيقاع المتلاحق لتطور الطبيعي لأي مجتمع من المجتمعات. ولو طويلا ذلك على البعة، لأدركنا كم

تأخرنا وكم هوتا من المصص لإحداث ثورة لموية تصع العربية على  
حريطة أكثر لغت العالم رقيا وتطورا

والصراع بين القديم والحديث انحذ فى الماضى أشكلا عيمة  
كما حدث فى الثورات التى هرب العالم خلال القرون الماضية. ومن  
يدرس تاريخ أهم الثورات مثل الثورة الفرنسية فى ١٧٨٩ والثورة  
السوفيتية فى ١٩١٧، يتصح له أنها لم تكن نتيجة مصالح متناقصة  
وصراعات على الحكم بين المليقات فقط، بن كانت حلقياتها دائما  
لصراع بين القديم و الحديث، تصرع بين قيم وأفكار وعلاقات  
اجتماعية أصحت بالية لكن أصحاب السلطة يتمسكون بها، ورؤية  
جديدة للحياة تسمى إلى هرضها شرائح عاصبة من الشعب.

لهذه الأسباب كان ماكيافيللى (١٤٦٩ - ١٥٢٧) يعطى فى كتابه  
الشهير «الأمير» نصيحة ثمية حيث يقول للأمير الشاب الذى كان  
ينقده دروسا فى من السياسة «إذا أردت أن تتفادى الثورة..  
فأصنعها بنفسك».

ومعنى هذا الكلام أن الثورة على الماضى ضرورة حتمية يمكن  
تتم برضى الحاكم إذا نقب الواقع الحديد وأجرى لتغييرات التى  
تستلزمها ظروف عصره أما إذا رفض ذلك وتمسك بالحفاظ على  
الماضى فإن الثورة على القديم ستتم فى كل الأحوال، ولكن بأشكال  
عنفية وصدد إرادته.

وإذا استخلصنا من حكمة داهية السياسة الشهير ماكيافيللى  
يميدنا فى هذا البحث فإننا نقول: لنقم نحن بثورة فى البعة العرب

ليوم بدلا من أن يفرض علينا الأمر الواقع ويحد لغتنا في حطر  
 - هم بعد بضعة أحيال قادمة. وعلى حد تعبير ما جاء في ترثا  
 لعرض فليتم ذلك «بيدي لا سيد عمرو».

\*\*\*

وفي عبات إجابات صريحة وخريئة عن الأسئلة التي طرحتها  
 حول أسباب ضعف المستوى النقوى للطايقين بالعربية فإننا سنظل  
 سور في حقة مفرغة شريحة مصائنه من المتخصصين يرقصون  
 أسطوبر، لكن لهم الصوت العالي والسيطرة على مساهج لتعليم  
 ودوت لثقافته والإعلام ثم عالية ساحفه لم نعد مادرة على  
 اسيعبت لعة واستخدامها وتشعر بعقده بسبب هذا العجز

وهذه الإعلبه ليست من الشباب فقط ولكنها متمثلة في كافة  
 شرائح المجتمع. كما لا يقتصر الأمر على الطبقات التي لم تزل  
 حظ كافيا من التعليم وإنما تمتد ظاهرة انحفاض المستوى النقوى  
 إلى طيفه المتقدمين والمسؤولين باستثناء ت مادرة جدا فعالبيه رؤساء  
 نسل العربية يقومون بحطبيهم وأحاديثهم في أخطاء لغوية فادحة  
 وخاصة في الشكيل. ولا تكاد خطبة مسؤول عربي على أي مستوى  
 نحو من أخطاء ولحن يخرق آذان من يعرف اللغة العربية. أما عن  
 السكر الرسمية في الحكومة والدواوين العامة فيها مكتظة  
 بالأخطاء.

وأعلم أن بعض المسؤولين يأخذون على مروضيهم أخطاء اللغة  
 ويهجمون التي يقومون هيها لكن هؤلاء النوراء والمسؤولين أنفسهم

غير عتريين عن لخطأ هي العربية، ليعر تصغيرا منهم. لكن لشبه استحالة عدم الوقوع في الخطأ عند التحدث أو الكتابة بلغة الصاد.

\*\*\*

ويبدو أن غضب كبار المسئولين من ضعف مستوى العربية عند مرؤوسيهام هو تقليد عروبي قديم، فمن الروايات المتداولة في مجالات باب «الثوقيعات» أن الخليفة العباسي أبا جعفر المصور (نحو ٧٠٩ - ٧٧٥) وصله كتاب من عامله على حمص به أخطاء في لغة، فكتب إليه «استبدل بكاتبك، وإلا استبدل بك» أي «إرسله من يكتب لك، وإلا «رفدتك»

وقد استهلكت الصحافة المصرية أنهارا من الأحبار لتصحيح الأخطاء اللغوية وخاصة بين أوساط الطلبة الجامعيين. واتضح أن مستوى اللغة وصل إلى درجة مفرعة من الانحطاط، وقد أفردت لصحافة المصرية مئات من الموضوعات تصحيح فيها تدنى المستوى اللغوي في أوساط الطلاب الجامعيين وأعطت أمثلة لأخطاء تقشعر لها الأبدان.

واتضح لي أن التهمك على الأخطاء اللغوية تقليد قديم في صحافة المصرية أيضا. ففي مارس ١٩٢٢ نشرت مجلة «روضة البلبابل»، وهي أول مجلة موسيقية في عالم العربي، وكان رئيس تحريرها لبيد يديع إسكندر شرفون، مقالا عن الأخطاء اللغوية التي يقع فيها كبار المطربين آنذاك أثناء غنائهم للقصاصد الشعرية

وكان كثير من هؤلاء المطربين يحملون لقب «شيخ» مما يعطى انطباعا بإجادتهم للغة.

وكان أطرف مثال صريته المجلة عن مطرب لم يذكر اسمه وقع في خطأ مضحك لحلظه بين العامة والمصحى في اللفظ. فكان يسمى قصيدة أبى فراس الشهيرة «أراك عصي الدمع»، وعندما وصل إلى البيت الذي يقول:

معلتني بالوصل والموت دونه إذا مت طمانا فلا نزل القطر

نطو كلمة ظمان: «ظمقان» لاعتقاده أن ظمانا نالطق لغامي، فحولها هو.. إلى عربية فصحة ١١

\*\*\*

وكثيرا ما فوجئت بكبار المثقفين يحطئون أخطاء لا تصدق في لغتهم الأم التي يكتبون ويبدعون بها. وبعض هؤلاء أو معظمهم يعبون من رموز الأدب وكتابة في مصر والعالم العربي

وكنت أسأل نفسي وأنا أستمع إليهم هل يمكن أن يكون جيش لستوئين والمثقفين والصحفيين والكتاب بهذه الدرجة من الجهل ؟

وعندما كنت أقارن حالنا بالآخرين كنت أحد بمسى مضطرا لأن أعترف بأنه لا يوجد مثقف واحد في فرنسا أو إنجلترا أو إسبانيا أو حتى البرازيل يحظى في لغته الأم بهذه الصورة شغل كل لشعوب عربية مثقفها ومفكرها أصبحت معوقة ذهبا بحيث لا تستطيع تعلم اللغة والإلمام بها إلانما سليما ؟

وإذا وسعنا باب المقاربة مع الآخرين نجد أن أية سكرتيرة متواضعة حاصلة على شهادة متوسطة هي أية دولة عربية قارة على أن تكتب بنفسها خطاب دون أخطاء لغوية، وقد تعاملت خلال عملي هي منظمة اليونسكو الدولية مع أكثر من سكرتيرة فرنسية وهو حثت بأنهن تكتبن مذكرات وخطابات رسمية دون أي خطأ أم هي الوطن العربي فإن أعلى القيادات الوظيفية من الحاصلين على أعلى الشهادات الجامعية عاجزون عن صياغة مذكرة أو خطاب حاص بعملهم دون أخطاء لغوية في العربية.

هل السكرتيرة الفرنسية تمتلك قدرات ذهنية أرقى من المثقفين وأصحاب الشهادات العليا في العالم العربي؟ بالطبع لا إذا ما حللنا يكمن في الطرف الآخر من المعادلة، وهو اللغة المستخدمة للتعبير عند كل من الطرفين. لسكرتيرة الفرنسية والمثقف العربي. فاللغة الفرنسية طيبة وسهلة ومباشرة. كما أن السكرتيرة مثلها مثل كل من يتحدث الفرنسية لديها أدوات تسهل مهمتها وتجعلها قادرة على تجنب الخطأ وعلى رأس هذه الأدوات قاموس اللغة الفرنسية الذي يقوم على ترتيب الحروف الأبجدية بالإضافة إلى ترسانة من القواميس الخاصة بالقواعد وبالترادفات وغير ذلك من الكتب التي يتعلم أي تلميذ فرنسي كيفية استخدامها في المدرسة

\*\*\*

وقد يكون أول رد فعل لمن يقرأ هذا الكلام هو الاعتراض بأن العربية قد طرأت عليها تطورات كبيرة بالفعل وأسي عملت ذلك

هي تحليلي لاشكالية العربية في العصر الحديث. لكنه لم يفتي أن العربية التي يستخدمها اليوم تختلف كثيرا عن اللغة التي كان يستخدمها أجدادنا في الماضي البعيد وحتى القريب لا أشك أن العربية قد عرفت تطورا ضخما خلال القرن العشرين. لكن هناك فرقا جوهريا بين التطور و التطوير. فمما طهور الصحافة بصمة خاصة بذات العربية مرحلة جديدة من التطور الطبيعي، المسجح مع ضرورة الاتصال بالعلم وتقدم المعلومات للقارئ بالصورة التي يهتم على استيعابها.

لكن ما أقصده من التطور.. وإنما، التطوير. وهذا فرق جوهري بين الاثنين. فالأول هو ظاهرة طبيعية لا يستطيع أحد أن يفاومها لأنها سمة من سمات الحياة، لكنها تحدث دور تغيير محكم بصفتها في سياق منهجي. أما التطوير فهو جهد يردى جماعى للخروج من حالة السكون وذلك من خلال تقنين التطور ويحدد لألب اللازمة للوصول به إلى مدام.

ولعلنا لجميله أصبح في حاجة ماسة إلى التطوير الطوعي حتى لا نجد أنفسنا في خلال عقود قسبة أمام معضلة محيطة وهي حصر الانقطاع عن ثقافتنا وتراثنا بسبب نعتت بعض العقول المتحجرة الراضة لكل جديد.

إن اللغة كائن حي يحتاج عسى الدوام إلى تنمية وعمليات إحلال وسديل كما يحتاج الإنسان إلى لقذاء وإلى تحديد خلايا حسده



ومن يطالب بتحصيل اللغة وعدم التمسك بها فكأنه يطالب بموتها لأن التحنيط لا يكون للأحياء وإنما للأموات وحدهم والذين يرقصون تطوير لغة يرقصون فكرة أنها كائن حي ويعلمونها بهالة لدين فتصبح هي عيونهم لغة ليست ككل لغات العالم وإنما نسيج لا مثيل له.

والواقع يقول عكس ذلك. فالأدب العربي عظيم لا شك هي ذلك. لكنه ليس الأدب الوحيد في العالم وقد أبدع شيكسبير بالانجليزية وحاته بالألمانية وموليير بالفرنسية روائع تبارى ما أبدعه المتنبي وأبو الملاء وطه حسين وأنا من الذين يرون أن الشعر العربي القديم يموق هي رفته وجماله ما أبدعه فطاحل الأدب العربي لكنه رأى شخصي، والأرجح أنه رأى غير موضوعي لأن ثقافتى الأولى التى نشأت عليها هي العربية.

\*\*\*

## هل العربية لغة مقدسة ؟

من المؤكد أن اللغة العربية تدين باستمرار وجودها حتى بداية  
لقرن الحادى والعشرين لتقرر الكريمة هولا القرآن لما طلعت  
عربية لغة متماسكة يتحدث بها أكثر من ٢٧٠ مليون من البشر فى  
لعالم أجمع

ومن هنا فإن علاقه اللغة بالدين من أخطر القضايا وأكثرها  
حساسية وقد اسهمت بعض الأفكار الحامدة التى تقف بامرصاد فى  
وجه أى تطور إلى تحييط اللغة وعزلها عن مجاراة انقصر وتصب  
هذه الافكار فى قالب واحد وهو ربط المباشر بين العربية والدين

ويرغم أصعب هذه الأفكار أن العربية ليست فقط اللغة التى  
ربى بها القرآن، ولكنها لغة الدين ذاته وبالتالي هى محاطة  
بمسة خاصة ترفعها إلى مرتبة تجعل المساس بها نوعاً من أنواع  
كفر ومن هه لىطو ظهرت بطرية بصف اللغة لعربية بأنها لغة  
«توقيفية» أى أنها مبرلة من لسماء وبالتالي هى موقفة بحوهرها  
عن أى إضافة أو حذف أو تعديل بيد البشر

وهي مواجهة هذا التبار ظهرت نظرية أخرى ساندتها أصعب العقل تقول إن العبرية مثلها مثل باقي لغات العالم هي لغة « صطلاحية » أي أن الناس اصطلعوا على كلمات ومعان من وقع ثقافتهم وتجاربهم المتراكمة ووضعوا قواعدها لصيغت لغتهم.

وفكرة قدسية اللغة واستمائها إلى عالم يسبح فوق مستوى عالم الإنسان قديمة قدم التاريخ فالمصريون في عصر لمصر العريقة كانوا يؤمنون بالإله تَحْتُ، رب الحكمة والكنسية وكانت اللغة المصرية القديمة تكتب بخطوط ثلاثة هي الهيرغليفية والهيراطيقية وظهرتا في توقيت واحد تقريباً نحو ٢٢٠٠ قبل الميلاد ثم ظهرت الديموطيقية في نحو القرن السابع قبل الميلاد.

وكان أهل مصر يعتقدون كل هذه الخطوط واللغة نفسها هابطة من السماء وأنها هبة من الآلهة. وكان لمصرى يمرر إلى اللغة بتعبير مِدو يَشْر ومنهنا كلام الآلهة وكانت القباغة الرسخته هي أن الإنسان لا علاقة له باللغة ولم يجرعها ولم تتطور أو تتطور ولكنها هيبت من القوى السوقية جاهدة للاستعمال دون تغيير أو تبديل.

ومن المؤكد أن كهنة آمون وحاشية هرمون ساعدوا على ترويح هذا الاعتقاد وكان يهدف هو تكريس الكهوت للسيطر على عقول أبناء الشعب البسطاء وإجبارهم على تحجيل اللغة. ومن ثم تحجيل الطبقة العليا المكونة من الكهنة وحاشية هرمون الذين يعرفون أسرارها دون غيرهم، والحواف منهم واعتبارهم حملة المعرفة المطلقة والوحدة على وجه الأرض.

وهي سومر التي كانت تقع في جنوب بلاد ما بين نهري (العراق حالياً) والتي ظهرت فيها حضارة شبه مترامية مع بداية انحصارة المصرية. كان الشعب يؤمن هو الآخر بأن اللغة السومرية مقدسة.

ويختلف العلماء إلى الآن حول الحضارة التي ظهرت فيها الكتابة ولا أهي مصر أم سومر لكن المؤكد أن الحضارة المصرية كانت أكثر تطوراً ونصيلاً وتركت آثاراً لا زالت تبهج الإنسانية.

وأما كان الأمر بين السومريين كانوا مهتمين تمام الاقتناع بأن آلهة قد منحت عليهم بركة سحرية ويكتبون بها، وأنه لولا إحسان الآلهة عليهم لما استطاعوا الكتابة ولا الفهم فيما بينهم.

وهناك حضارات أخرى قديمة ظلت كل منها أن لغتها برزت من لسان وأنها ليست من وضع الإنسان لدى يسندوها. فالدن روحو لمكره هندسية للغة العربية لم يأتوا تحديد ولكنهم ساروا على نهج العديد من الحضارات القديمة.

\*\*\*

وكل هذه الأفكار حول قدسية اللغة لا أصل لها في القرآن ولا في السنة فهل يفهم من أي كلمة في القرآن أو السنة أن العرب هم أفضل الشعوب ؟ وهل يفهم من أي كلمة في القرآن أو السنة أن العربية هي أفضل اللغات ؟ وهي ذات أية إشارة إلى أنه يتحتم على كافة الناس تعلم لغة العربية ؟

هنا نزل بالعربية حتى يفهمه أهل الجزيرة العربية لنزل  
 هبط الوحي على أشرف أبنائها وهو سيدنا محمد ﷺ واستخدم  
 لقرآن الكلمات والتركيب المصنوعة من أساء هذا العصر وهذه  
 البقعة من الأرض، والذين آلت إليهم مسئولية نشر الرسالة، وهو ما  
 فعلوه بأمانة بعد الرسول ﷺ في عصر الحلفاء لترشدين ثم  
 لأمويين ثم لعاسيين في عصرهم الأول، والقرآن نزل لكل أمة  
 البشر في كل بقعة من بقاع الأرض، لكنه هبط في مكان ورمز  
 محددين فكان لا بد من أن يفهمه نعت أولاً، يفهمونه باللغة التي  
 يعرفونها، وبأمثلة من البيئة التي يعيشون فيها

فجاءت أمثلة القرآن بالبقرة والسفك والصغراء وغير ذلك وكان من  
 الممكن أن يعطى القرآن أمثلة بالطائفة ولأقمار الصناعية ونطحات  
 السحاب مثلاً لكن أهل الجزيرة هي ذلك العصر كانوا سيمجرون عن  
 إدراك معنى هذه الأمثلة فيسمى المرص الأول من التفسير وهو  
 استيعابهم لمعاني القرآن وإيمانهم به، ولو نزل القرآن باللغة لأرمية  
 مثلاً لما فهم معانيه أهل مكة و الجزيرة

و نقول بأن العربية لغة «توقيفية» أي مرتبة من لسماء، ودلتنا  
 هي لغة مقدسة لا يجوز المساس بها هو قول يناقش من رأي  
 صحيح لدين الإسلام، فلو كانت العربية مقدسة وتسمو فوق كل  
 لغات العالم لكان العرب قادرين من خلال استخدام هذه لغة  
 البلوغ إلى ما بلغه القرآن من إعجاز، فالعرب في عصر الدعوة

كبو متمكبين من العربية تمكنا مدهشاً، وكان بينهم ملوك البلاعة  
وليس من طاحل الشعر والروة وقد حذاهم القرآن في أكثر  
من آية أن أبوا، بآية واحدة مشابهة لكلام الله فعجزوا عن ذلك  
فقال تعالى.

\*وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا لَسِئَلُهُمْ (نقطة ٢٢).  
\*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ \* (يونس ٣٨)  
\*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ \* (هود ١٣).

ولو كانت العربية مقدسة كما ندى أعجزهم ؟ لو كانت اللغة  
مقدسة وهابطه من السماء لكان الأعجاز في ذاتها، وكان العرب  
هادرين بالسالى على الإتيان بمثل ما جاء بالقرآن لكنهم فشلوا  
فشلًا سريعاً، فبالاعجاز إذ في القرآن وليس في اللغة

وقد وقع معجزة ذكرها لقرآن من أهمها قصة عصا موسى،  
التي التهمت ما جاء به سحرة فرعون. فهل يمكن أن يعتبر عصا  
موسى مقدسة وأن كل عصا في الدنيا تسبح عليها بسببه  
انقداسة ؟ بالتأكيد لا. فعصا موسى كانت مجرد أداة لمعجزة أرادها  
المخلق لكن المعجزة ليست في ذاتها كذلك فقد كانت العربية أداة  
لمعجزة القرآن.

بعد أدرك العرب منذ البداية أن لغتهم، وإن كان بالعربية، إلا  
أنه ليس من لغتهم وكانوا يقولون، ليس بشعر وليس شعر وقال

أيمن الغضري وهو شقيق أبو در، عرفت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر، فلم يوافق شيئاً من طرق كلام العرب.

هذا مع أن القرن استلهم المردات المعروفة لأبي عريبي في لبادية أنداك وكان مفهوماً تماماً للجميع. لكنه جاء بشيء غير موحود في اللغة ولم يستطع أحد تقليده وقتها أو بعد ذلك.

وكل هذا يؤكد لنا أن الإعجاز ليس هي اللغة العربية وإنما هي القرآن وحده فكيف نقول إن العربية لغة مقدسة ؟ ومحاولة إبطال الإعجاز القرآني هي اللغة التي نزل بها هو حلط لا يساهد منطق ولا صحيح فهم الدين فقد نزل الدين الإسلامي لكل البشر في كل مكان وزمان وكان من الممكن أن يسزل بالتالي بلسة غير العربية وكان إعجازه محدث سيبغ من ذاته وليس من اللغة التي نزل بها

ولو كانت العربية لغة مقدسة لكان الدين الإسلامي للعرب وحدهم ولتدين بجيدون لغة الضاد دون غيرهم من البشر. وهذا يناقض صلب الدين الإسلامي الحنيف ولو كانت العربية مقدسة فإن من لا يفهمها لا يكون مسلماً كاملاً الإسلام والإيمان.

وهذه القضية تحرج من زمرة المسلمين العالوية العظمى من الشعوب الإسلامية، كما أنها إحقاق لثبات التلايين من المسلمين الذين لا يجيدون العربية.

وقد دحر الإسلام هي حياء الرسول ﷺ أناس لا يعرفون العربية فتقبحهم نسي دون أن يثير مشكلة اللغة ومعجزهم عن فهمها. بر أن الرسول ﷺ كان يعتبر هؤلاء مسلمين على درجة متساوية مع لعرب

سأطلق بالصناديق ونقول الحديث ولا فصل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». ولم يقل بالنسب أو العرق أو بجملة لغة ولو كان لرسول ﷺ يرى هي العربية لغة مقدسة معرلة من السماء كان من المنطوق أن يعبر من يتحدث لغة أخرى كاعراب وعاصيا لأوامر الله، وكان لعربي في هذه الحالة فوق كل البشر لأنه يتحدث لغة مقدسة

ولو كان صحيحا ما يقصد به البعض هي وجوها من قسمة اللغة العربية لرفض رسول الله ﷺ، وهو أدري بعشيرة أدنى أن يترجم معاني القرآن إلى أي لغة أخرى. وهناك رواية معروفة تنقص ذلك حول سؤال سلمان الفارسي عن أشياء حسنة الدين لا يفهمون العربية هل يترجم لهم بقرآن أم لا. وكان سلمان متحررا من ذلك فاستغنى الرسول ﷺ. وحاشاه محمد ﷺ بأن عليه أن يترجم لهم معاني القرآن بفهمهم حتى يفهموه

ولو كانت العربية لغة مقدسة لا بد لكل مسلم من إحدتها كشرط مسبق لدخوله الإسلام ولا اكتمال إيمانه، لرفضه لرسول ﷺ على غير العرب وهو ما لم يحدث ولو فعل الرسول ﷺ ذلك. لا يحرص أحد على العرب وحدهم وإنما على العالمين العربيين الأساسيين منها لكن الرسول ﷺ كان يدرك تماما أن اللغة ما هي إلا أداة لتوصيل الرسالة السماوية إلى بني البشر، وحرمان العرب وغيرهم من فهم معاني القرآن يجعل الإسلام دين الخاسرين هو الخاسر بالنسبة للديانة اليهودية واليهود لا يسمعون إلى بشر بينهم بل يتحفظون على أي شخص راعى في اعتناق اليهودية



وهذا عكس منطق الإسلام الذي كان لرسول ﷺ أمينا عليه فصح  
لنصلح أن يترحم معاني الآيات إلى الفارسية.

\*\*\*

وبعد انتشار لدين الحنيف بسطت الدولة الإسلامية نفوذها  
على أراض شاسعة تغطي أجزاء كبيرة من آسيا وأفريقيا وأوروبا  
وقد تبنت بعض شعوب هذه البلدان اللغة العربية كمصر ولبنان  
والعراق ودول المغرب العربي. لكن غالبية الشعوب التي دخلها  
الإسلام طلت متمسكة بلغاتها الأصلية وهذا الذي يصير أن غالبية  
المسلمين اليوم لا يتحدثون العربية. ولم تحظر على بال الفاتحين  
المغرب فكرة فرض العربية على الشعوب التي خضعت لدولتهم.  
وهذا دليل على أن فكرة قدسية اللغة لم تكن مسيطرة على الأذهان  
في العصور الأولى للدولة الإسلامية

واليوم فإن غالبية المسلمين في الأرض لا يعرفون العربية، ومع  
ذلك فإنه لا يمكن التشكيك في إسلامهم وهي صحة إيمانهم بل إن  
نسبة المسلمين غير العرب أكبر كثيرا من نسبة العرب المسلمين  
وحسبه آخر التقديرات هناك اليوم في العالم ١,٢٥ مليار مسلم  
في حين أنه لا يوجد أكثر من ٢٤٠ مليون عربي تعد العربية لغتهم  
الأم، من بينهم أكثر من عشرة ملايين من شبه المسلمين. أي أن  
نسبة المسلمين الذين تعد العربية لغتهم الأم تمثل ١٩,٢٪ من  
مجموع مسلمي العالم.

وبحسبة بسيطة فإن ٨١ / من المسلمين لا يعرفون اللغة العربية التي عبسرها نحن العرب الركن الأساسى للدين. كذلك فهناك فئة تغمفوا فى الدين وهم لا يحيدون، العربية إحادة حقيقية مثل أى الأعلى المودودى والخمينى حتى وإن كنا لا نتفق معها فى مظهرتها إلى الدين، وعصرهم كثيرون

وبالنسبة فى الربط بين الدين واللغة له حدود ولا يمكن أن يكون ربطاً مطلقاً. وهناك فى إسبانيا، وماليزيا والهند وأفريقيا وغيرها مئات الملايين من المسلمين الذين لا يمكن التشكيك فى تقواهم وهى صدق إيمانهم. لكنهم لا يعرفون من العربية سوى بضع آيات قصار يحفظونها عن ظهر قلب وكثيراً ما لا يفهمون معناها بدقة وهى مصابقت تلاوة القرآن الكريم براحاً كبار الشيوخ من العرب بشباب من بلاد إسلامية غير عربية يقرأون لقرآن دون أقل خطأ وتطق جميل، لكنهم عندما يتحدثون إليهم بالعربية لا يفهم هؤلاء الشباب شيئاً وسعأون إلى مترجم لتعاهم مع الأساتذة الممتحنين.

وقد مررت بتجربة شخصية رادت اقتناعى بذلك عندما أشرفت فى باريس على عدد مجلة رسالة ليونسكو، والذي تم تخصصه بالكامل للإسلام عام ١٩٨٠ بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على الهجرة النبوية. وقد طلبت بهذه المناسبة من الأستاذ حميد الله، وهو هدى جسية ومن كبار المتخصصين فى الإسلام، كتابة مقال لإدراجه بمجلة. ولهذا الرجل ترجمة شهيرة لمعاني القرآن باللغة الفرنسية ولم أكد أصدق أن هذا العالم الكبير فى شؤون الإسلام لا يستطيع

ههم العربية. وسألته كيف ترحم القرآن فقال إنه يعرف القواعد الأساسية للغة واستعان بكل الترجمات السابقة للقرآن بعدة لغات وفي العديد من البلاد الإسلامية يوجد حفظة للقرآن الكريم قادرون على ترتيله أو تلاوته دون أدنى خطأ. لكن المفارقة أن العالمية الساحقة لهؤلاء لا يهتمون معنى ما يقرأون، وقد سألت بعضهم في هذا فقالوا إنهم يفهمون المعنى الإجمالي لكل آية نظراً لأنها مترجمة بفقاتهم لكنهم عاجزون تماماً عن فهم الكلمات والمفردات العربية التي تتشكل منها آيات الكتب الكريم.

فأقول بأن كل المسلمين يجيدون العربية هو قول رثف يروح له بعض الذين يدافعون عن نظرية قدسية اللغة العربية ولم يبدأ منطلق قدس اللغة ورفعها إلى مستوى المحرمات التي لا يجوز المساس بها هي الظهور إلا بعد وفاة الرسول ﷺ بسنوات طويلة وكان الدافع وراء هذا المنطق ليعيد عما جاء به محمد ﷺ هو المرايدة والعلو في كل شيء.

ومن المؤكد أن عرب الحبرية كانوا مؤهين نفسياً لتقبل فكرة قدسية اللغة. هالهالة التي كانوا يحيطون بها اللغة والنبي وأهميتهم المحورية لديهم في الجاهلية وعصور الإسلام الأولى لعبت دوراً كبيراً في تثبيت فكرة قدسية اللغة وبذل ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي أن أعلى القصائد هي سلم أولويات لعرب آنذاك تتبع من مصدرين الأول هو لشعاعة ولروسية والثاني هو لفصاحة.

وكانت صفات «شجاعة والبطولة قاسما مشتركا أعظم مع عالمية، إن لم يكن كل المجتمعات القديمة حيث كانت القوة هي «وسيلة الأولى ليست، السيطرة والحصول على المكتسبات وقد بحث علماء الأنثروبولوجي والاحتماع كثيرا ولا زالوا في أصل بحروب والفتن عند بني البشر وأنا كان الأمر، فإن العرب لا يفردون بوصفهم «شجاعة في أعلى سلم أولويات مآثراتهم

من الصفة الثابتة التي كانت لا تقل أهمية عن الأولى عند العرب وأقصد بها المصاحبة والبلاغة فهي خاصية نادرة لتواجد في المجتمعات القديمة ولا اعتمد أن هناك مجتمعا في التاريخ استشرى اهتمام بالبلاغة مثل العرب ولما أكد هذا المعنى وصف الشيخ محمد عبده البلاغة بأنها «سيدة علوم العرب» ولم يقل سيدة آداب أو فنون العرب.

صحيح أن لحصانة «ليونية» نديمه كانت أولى هي الأخرى أهمية محورية للبلاغة ولكن بمفهوم مختلف فالبلاغة عندهم كانت تقوم على المعنى أكثر مما تقوم على التلاعب باللغة كانت تقوم على الإقناع لتطقي أكثر مما تقوم على سحر الكلمات وتتميقها

ومن المعروف أن السوفسطائيين كانوا شتهرون بقدرتهم على قناع أي شخص بمكرة معينة وعندما يقر باقتناعه بها يقوم نفس الذي أقبه بال رأي الأول من خلال حجج معقولة، باقتناعه بعكسه وكان بعضهم يتكسب من هذه الحيل لبلاعية لكنها بلاغة بصنوت لا بلاغة الزخرف.

وكان هناك في أذهان العرب في العصر الجاهلي ارتباط وثيق بين البيان والسحر، وهناك الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ «إن من البيان لسحراً» فالعرب كانوا يعتقدون أن الشعر هو نوع من أنواع سحر وأن الشاعر تتمنكه قوى خفية تتمتع في نفسه الكلمات والمعاني التي تخرج من فمه شعراً، وكانوا مؤمنين بأن الحسن والشياطين تتدخل في عملية الحق لشعري

وهذا يفسر أنه من شدة انبهارهم بالقرآن وما جاء به من إعجاز لم يجد المشركون إلا أن يتهموا الرسول ﷺ بالسحر.

وكان الرسول ﷺ يعلق على شعر حسان بن ثابت ضد المشركين قائلاً: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل»، فالرسول ﷺ كان يدرك ما للشعر من وطأة نفسية جبيرة على عقول أهل الجريفة ويؤسهم ولوقائع التي تدل على حب الرسول ﷺ للشعر لا حصر لها، فقد كان عليه السلام يطرب لشعر لحنساء ويشجعها قائلاً: هيه يا خنساء.

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة في العام التاسع للهجرة أهدى دم مجموعة من الكفار، وكان من بينهم الشاعر كعب بن رهير. ولم يجد هذا الشاعر إلا كسر لنبل عقو الرسول ﷺ سوى لتسلل لجلسه وإلقاء قصيدة رائعة قال في مطلعها

يا ليت سعدا قلبى اليوم يتناول  
سنيهم إثرها لم يغد مكبول

هما كان من الرسول ﷺ إلا أن خلع عليه بردته كما جاء في كتب السيرة وهذا معناه عند عرب الخزيرة أن هذا الرجل أصبح في حماية الرسول ﷺ. فلم يكتف ثنبي بالعفو عنه فقط وإنما أنعم عليه بحمايته لشخصية. ومن المؤكد أن موقف النبي تابع من رحمته وأخلاقه لتسمية لكل السبب المباشر في العفو والحماية هو فريدة شعر رائعة مست لأومر الحسانة عند محمد ﷺ.

ويروى عن معاوية بن أبي سفيان (نحو ٦٠٢ - ٦٨٠) مؤسس الدولة الأموية أنه كان يذكر ليلة الهرير بصميم وهي معركته الشهيرة على السطة مع عيسى بن أبي طالب (نحو ٦٠٢ - ٦٦١). فيقول إنه قد هم بالمرار لولا أن ذكر أساب عمرو بن لإطابة التي تقول

أنت لى همنى وأبى بلأنى وأحدى الحمد بالشمى الربى  
وأجشامى على المكروه بعسى وصوى هامة البطل المشع  
وقولى كلما حشأنه وشارت مكاك . نهدى أو تستريحى

فقاتل حتى تنصر فى هذه المعركة الماصلة. أى أن معاوية يعترف بأن لهذه الأبيات فصلا فى إقامة صرح دولته التى امتدت إلى جبال البرانس.

وظل عشق اللغة ممتدا بعد استتباب الإسلام وبتشاره. وبعد الرسول ﷺ بأربعة قرون، قال أبو العلاء المعرى بيته الشهير :

وأبى وإن كتب الأجر وهامه لآت بما لم تسبطه الأوانل

ولم يطلب منه معاصروه من العرب أن يبتدع شيئاً جديداً معيذاً  
أو أن يخرق قواعد الطبيعة التي عجز سابقوه عنها لم  
يطلبوا منه أن يشفى المرضى أو أن يغير الحديد إلى ذهب، كل الذي  
وحدوه لتعجيره كان أن يجد حرفاً جديداً يضاف إلى أبجديات  
العربية ويقال إن أحد أطفال معرة النعمان طلب منه أن يأتي  
بالحرف لتاسع والعشرين الذي عجز السلف عن الإتيان به.

وتدل هذه القصة إن صحت عني مدى تأثير الناس وحتى  
الأطفال بالغة وأنها أهم شيء في حياتهم.



وكان عشق العرب الأول هو التلاعب بالكلمات والبحث عن  
القريب في شكل أكثر منه في الجوهر وقد بلغ استظهارهم  
لمهارتهم واستعراضهم لعصلاتهم النعوية أن تبادلوا رسائل تقرأ فيها  
الجميل من اليمين أو اليسار كما جاء في رسائل القاضي الماضل  
والعماد لأصمهاشي مثل: «سرفلاكيا بك الفرس» أو «سورحماة  
بريه محروس». وقد امتد هذا الجهد المزوف عبثاً إلى الشعر  
فيقول أحدهم

سودته تدوم لكل هول وهل كل سودته تدوم

ومن الواضح إن المعنى مصطوح ومكرر. لكن هذا ليس مهماً.  
فالهم هو التلاعب بالألفاظ والزخرف الذي لا طائل من وراءه

وكان واصل بن عطاء أحد مؤسسي فكر المعبرة يلثع في حرف  
الراء فكان يتمداده بقدر الإمكان في خطبه وكلامه. وله حطة  
كامنة في التحريض على شارب برز لا يرد فيها حرف لراء على  
الإطلاق. وهي تعد في أدبيات العرب فتحا كبيرا، فوق الاحتراعات  
التي أحدثها كثير من المسلمين في تاريخهم المجد في مجال العلم  
والمعرفة والأمثلة على المكانة المحورية التي لعبها اللغة في حياة  
العرب لا تعد ولا تحصى

\* \* \*

وبالتوري مع اضمحلال لاردهار لثقافي للدولة الإسلامي كان  
للعرب يصيرون وقتنا أكثر في المحسنات السريعة وترويق اللغة بدلا  
من بحث في المعاني والأفكار الجديدة وكان الاهتمام بظاهر  
اللغة من مؤثرات تحلف احصارة العربية الإسلامية

ويظهر للأهمية القصوى التي كان يوليها العرب للصناعة فقد كان  
من المنطقي أن تكون المعجزة الوحيدة الثابتة التي أتى بها سيدنا  
محمد ﷺ تأييدا لدعوته هي القرآن فقد هبط كتاب الله بلغه لم  
يعهد لها العرب وفوحثوا بها تماما فسحرت ألبابهم وعلوت الرسول  
ﷺ على كسب المؤيدين والمريدين فكل أمة وسيله قناع تبع من  
عاد بها وقد عابها وحيالها الحماسي

فالمعجرات التي أتى بها سيدنا عيسى كانت تناسب سكان  
فلسطين الفقراء الذين كانت ترعهم فكرة الموت والماء فجاء  
المسيح بمعجرات تلهب مشاعر أهل زمانه ومكانه فكان سرى



لأكمه و لأتروص ويحيى الموتى كما جعل مجموعة صحفة من مريدته يأكلون ويشبعون بسمكة و حدة وقطعة حيز واحدة، يكملان شخصاً واحداً بالكاد.

أما عرب الحزيرة وحاصة أهل مكة فقد كان يسحرهم البين وحسن تميق الكلمات، وكان يحوم هذه المجتمعات هم الشفراء و لزوة لذين كانوا يتفتنون في اختيار المقردت والمعاني ليحببوا عقول سكان الحزيرة وكانت اللمة هي أداتهم التي طوعوه للوصول إلى اعراضهم فصارت ركناً أصيلاً في حياة المجتمع البدوي والحضري في زمن الدعوة

لذلك فعندما تقرأ الأنجيل تستشعر أن الناس في عهد المسيح كانوا يؤمنون بالدين الجديد الذي كان يبشر به بفضل المعجزات التي كان يأتي بها عيسى، وكانت المعجزات من أهم أدوات بشر الديانة المسيحية بعد وواء المسيح أما عند ظهور الإسلام فقد كان تلاوة الآيات حسب ما نعلم من كتب السيرة هي التي تفتح للناس طاعة الإيمان وتشرح قلوبهم للدين

ومعروف قصة دخول عمر بن الخطاب الإسلام عندما هجم على بيت اخته لردعها عن الدين الجديد فخارت قواه وهزمت عريته العدوانية أمام بلاغة الآيات التي استمع إليها من سورة طه وهي كل الأفلام والتمثيلات الدببية تلحظ كم كان يتأثر الناس بتلاوة الآيات الكريمة هتدمع عيوبهم وتعتريهم حالة من الخشوع والانسحاق، المنسى لما يتلى عليهم

فاجتلاب الشقاق والطباع والعادات جعل لكل مجتمع صفات  
خاصة لتقبل الدين الجديد وبالنسبة لعرب نجد كما ان اللغة هي  
كتاب المنكى الذى فتح امام الإسلام مجتمعات مكة ثم المدينة ثم  
باقي الجزيرة العربية.

ومن غير شك ان نزعة إثارة الجنس العربى عند سى أمية لعبت  
دور كبير في انتشار فكرة قدسية اللغة العربية فقصصه لمصان  
بعد اتصال لرسول الكريم ﷺ إلى الرقيق الأعز كانت العسطة  
الدسوية وكان سؤال سى يؤرق الجميع هو من محكم أمة  
الإسلام ومن أحق بخلافة سبدا محمد ﷺ ؟

وكثر هذا السؤال وراء انشقاق وحروب المتعاقبة التي عرفها عدم  
لعربى الإسلامى دون انقطاع منذ حروب الردة حتى تمسح الدولة  
الإسلامية الذى انتهى إلى سقوط بغداد فى أيدى المغول عام ١٢٥٨.

وبعد أن نجح معاوية بن أبى سفيان فى وضع حد للمقتلة الكبرى  
وسميت له أمور الحكم على أثر عسسال على كرم لله وجهه عدم  
٦٦١ عمل على تكريس ما كان معمولاً له منذ وفاة الرسول ﷺ أن  
يكون محاكم من قريش وحدها دون غيرها وكان من لطيفى أن  
ينشج عن ذلك أفصالية وحصرية خاصة لتجسس لعربى وبالتأنى للغة  
اعربية

واستغل أنصار النزعة الجندية من الأمويين نزول القرآن الكريم  
بالعربية لمرص فكرهم على أعدائهم من كل صنف ولون ومنهم

الخورج والشيعة وأهل العراق بصمة عامة وكان معظم هؤلاء من أبناء الأمصار التي دخلت للإسلام بعد الفتح وكان معظمهم من غير الحصن العربي ومن خارج الجزيرة العربية.

وقد كتب الكثيرون عن مآثر اللغة العربية وتموقها عن باقي لغات العالم وبعمدو الربط الاصطناعي بينها وبين الدين حتى يكسبوها مكانة عليا، تجعل الناس يحشمون للغة بدلا من أن يحشمو للمعاني التي تزل بها القرآن، وهناك منات من أبيات الشعر في هذا المعاني، وسأعطى نموذجاً واحداً هو ما أورده الطهطاوي في «تخصيص الأبرار»

ومن شرف الأعراب أن محمداً ابن عربي الأصل من عرب فصيح وأن المثاني أرسلت بلسانه بها خصنه في إخطاب من المجد

وهي كتاب «فقه اللغة» يقول الثعالبي (٩٦٢ - ١٠٢٨) بعد وفاة النبي ﷺ بما يناهر ٤٠٠ عام :

«من أحب الله أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب، ثم يسترسل في مقدمة كتابه قائلا إن «محمداً ﷺ خير الرسل والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل إلخ».

وهذا الكلام يلخص النظرية التي تربط بين الدين واللغة والتي عنتها العصبية لقلبية ورغبة العرب في أن يكون لديهم سلاح قوى يوجهون به تدهور مكانتهم التي وصلت فيما بعد إلى حد الاصطهاد من قبل لأجناد غير العربية

ويذكر هــ، بمحاولات البعض اليوم لربط بين الدين و سياسة واحصاع لسياسة لمأهيمهم، لصيفة للدين تحميها لمصالحهم الخاصة

ونشعر دائما أن هناك جهد يبذله البعض لإقناع الناس بأن لعربيه خلقت للدين لإسلامي وأن الدين سبب وجودها لكن لحقيقة مختلفة عن ذلك فكل الأبحاث العلمية تدل على أن اللغة العربية قد ظهرت قبل هبوط الوحي على سيدنا محمد بمئات السنين.

وكان لعرب أنفسهم في حياة الرسول ﷺ مقنعين بقدم لغتهم. وكنت هناك عدة روايات عن أول من نطق بالعربية منها أن أول من تكلم بلسان العرب هو سمعيل بن إبراهيم وأنه نسي لغة أبيه وهي سريسة وهناك من يه تؤكد أن أول من نطق بلسان العربي هو عرب بن قحطان وهو أيضا أول من نزل مع أولاده بأرض اليمن لينحدر منها موطن لأهله. ولذلك سمي عرب جنوب، الحمررة العربية بالمحطاسين

وقد أكد حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ هذه الرواية الأخيرة

معلمهم من مصطلح النسخ يعرب أسنا ، قصرتهم معربى دون يعر  
وكنتم قديها ما لكم عبر عجمة كلام ، وكنتم كالبهايم من نعر

وقد طرأت على اللغة العربية البدائية تطورات كبيرة حتى  
تبدورت وأصبحت هناك لغة أدبية مهذبة عرفت بلغة قرش  
والأرجح أن لغة قرش كانت هي تسائدة قبل الدعوة ، والدليل على  
ذلك أن كل ما وصلنا من شعر جاهلي بهذه اللغة وقد يجاد  
النقص بأن هناك شعراء كانوا يكتبون باللهجات المختلفة لكنها لم  
تعمم ، بعد نزول القرآن واستبعاد كل اللهجات المعاصرة للهجة  
قرش والرد على هذا الطرح هو أن المسقات التي اعتمرها لعرب  
في الجاهلية أفضل ما عندهم من شعر ، جاءت كلها دون استثناء  
بلغة قرش التي معهمها اليوم وتسحب من هذا أنه كان هناك  
شعراء يصنعون شعرهم باللهجات المختلفة لكن أفضل الأشعار وأرقاها  
كانت بلغة قرش .

ولكن هل معنى هذا أن العربية هي لغة الدين وحده ؟ وهل معناه  
أن أي مساس بها يعد مساسا بالدين ؟

لإجابة عن هذين السؤالين هي شرط مسبق أساسي للاتفاق  
على كيفية ومدى التطوير ، الملزم للعربية في بداية القرن الحادي  
والعشرين . وإجابة عن السؤالين عدى هي بالمسمى القاطع فقد  
أصبحت العربية هي لغة العامل اليومي لأبناء إحدى وعشرين دولة  
من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وأصبحت لغوية تحتوى على  
كلمات وتعبيرات لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد .

و.د. أردنا الحفاظ على اللغة العربية المصحى بحيث نظر  
لأجيال السادة قادرة على فهمها فالحل الوحيد هو إخضاعها  
لمصائب العصر كما حدث لكل لغات العالم الحية بدون استثناء  
وباستثناء وحيد وهو اللغة بعمره

\* \* \*

وفكرة قدسية اللغة وارتقاء لساكنين بالعربية قوي مسوى باقى  
بى البشر هي فكرة تصغر هي رأي مع جوهر الإسلام والمصطفى  
بعميق للرسالة المحمدية برسالة الإسلام تقوم على المساواة  
لكملة بين أبناء الإنسانية جمعاء ولست هي حاجة تكرار الأدلة  
لأصحة على ذلك سواء من يات القرآن أو من تسه المكرمه

أما فكرة اللغة المقدسة أتت أدلت على شعب مختار، فهي فكره  
عربية عن ديش وإل كانت موحدة في بيانات أخرى ومطوق آل  
لأرب هم الشعب لمصر ليه تعالى هو مطوق باقى أعظم تعاليم  
لإسلام حول مساواة أبناء آدم عليه السلام

وسنة عصرياً قبل دعاوى تصوق العرب على غيرهم من الأحسن  
وأحتقر اللغات الأخرى غير لعربية هي دعاوى عصرية بحسن كل  
أفكار نظريات التفوق لحسن التي بينها العالم الحديث وخاصة  
بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولما طوى بكرم وراء  
بعضى هو أفضلية حسن على باقى أحاس العالم بسبب الصفات  
متميزة الأصميه بأهله ونماء هذه الصفات عن لأحسن لأخرى

وتحد هي أدبيات الفكر العنصرى العربى كالأما يسو منطقتيا عن تفوق الإنسان الأبيض والجنس الأرى. لكن هذا المنطق معلوط من أساسه وقد رفضه سيدنا محمد ﷺ دون لبس فى خطبته بحجة الوداع وهى كل أحاديث النبوة وكيف تنقبله اليوم بعد مرور أكثر من ١٤٠٠ عاما من المفترض أنما نصجبا فيها عقليا وبمسيا واصبجا أكثر وبها بحقائق العالم ؟

صحيح أن المدافعين عن تلك الأفكار فى العالم العربى اليوم يلبسونها أثوانا برقة جديدة كما يعمل دعاة العنصرية فى العرب لكن المعنى فى النهاية واحد وهو تفوق العرب واللغة العربية على باقى أبناء البشر ولغاتهم جميعا.

وإذا كانت معرفة اللغة العربية ليست مفروضة على بى الإنسان فكيف نعتبرها نحن لغة فوق كل لغات العالم وبالتالي لا يمكن المساس بها ؟

وإذا أعملنا لعقل الذى منحناه إياه الله تعالى لأدركنا أنه لو كانت اللغة العربية مقدسة وهابطة من السماء، لكان من الطبيعى أن يتحدث بها كل سكان الأرض وكيف تكون العربية مقدسة فى حين أن ٩٦٪ من أساء البشرية لا يعرفونها ؟ وكيف تكون مقدسة فى حين أن ٨١٪ من المسلمين أنفسهم يجهلونها جهلا تاما ؟

\*\*\*

## المسيحيون والعربية

من أخطر السخافات التي تسحق أصولها من فكرة قديمة  
العربية هي أن المسيحيين لا علاقة لهم بلغة الصناد، وأن المسلمين  
وحدهم هم ملاك العربية و لغرفين بأسرارها وأدائها ومن العرب  
أن لا اصطلاح بتدريس العربية بالمدرسة ينصرف على المسلمين  
وحدهم دون المسيحيين بحجة أن الدين بقرون نابعة وأن مدرس  
لغة لا بد أن يقوم بتدريس الدين كذلك وقد استقرت هذه الأفكار  
في الأذهان على أنها وقع لا يحادل وأصبح يجب تدريس العربية  
عن مسيحيين نكريسا لفكرة قديمة، لغة عربية

لكن هذا الكلام لا يثبت أمام حقائق دامغة لا يمكن إنكارها  
لمسيحيون العرب لغو طوال حقبة التاريخ دورا هاما في الحصاد  
على لغة العربية وتطويرها وفي إمرار كنوزها جيبا إلى جيب مع  
جهانهم المسلمين، بل إن المسيحيين بدأوا هذه الدور قبل نزول  
نور على سيدنا محمد.



فالعربية بدأت قبل الإسلام بمدة قرون وتلوت هي صورتها  
لتي نعرفها الآن قبل نحو مائة عام من البعثة النبوية لشريعة هي  
العصر الحاضر كان هناك شعراء على أرقى مستوى ينظمون الشعر  
كسلاسل الذهب ويلهبون المشاعر ولعقول بأحمل المعاني.

وكان معظم هؤلاء من عبدة الأوثان. لكن بعضهم كانوا من  
المسيحيين وحتى من اليهود. ومن أشهر الشعراء اليهود لسموال  
الذي يعد من فصاحل الشعر العربي القديم

وكان من أبرز شعراء ما قبل الإسلام عدى بن زيد النضري  
لذي كان يحظى بشعب «شاعر الحيرة الأوحدة» نظرا لمكانته  
الشعرية الضخمة وتمرد أسلوبه.

أما في جيل المحصورين، فإن واحدا من أعلى لشعراء مكة  
كان مسيحيا وهو الأعشى وقد ولد قبل عام ٥٧٠، ومات بعد ٦٢٥  
بقليل حسب أقوال المصادر. وكان من أكثر العرب بلاغة وفصاحة  
لعوية.

وفي العصر الأموي لم يحظ بعدة شعراء مسيحيين كان أبرزهم  
الأخطل وبقطامي وكانا يديان بالمسيحية، ويحظى الأخطل بمكانة  
متميزة في تاريخ الأدب العربي وفي لماسي كان روة ودودة الأدب  
مثل حماد الزاوية وأبو عمرو بن العلاء بقدموته على شالية لشعراء  
اسلاميين وبعتبرونه فعلا ذا سبب عربي صحيح ولغة عربية رصية  
وكان الأخطل يقول «إن العالم بالشعر لا يداني» وحق نصيب  
من به البت السائر لحيد. أمسلم قاله أم بصراني

وقد قام لأب لويس شيخو بتأليف كتاب بعنوان «شعر»  
 «نصرته في الحاشية» يمد فيه من زرو هي الشعر قبل ظهور  
 الإسلام. فكن يبدو أنه من طرف حماسه حين كل من لم يثب من  
 شعره مباشرة أنه وثى يدين بالمسححة ، وهو تحاور عبر مقبول  
 عميا بطبيعته الحال وبالتالي فقد حين معظم شعراء العرب قبل  
 الإسلام من المسيحيين. وكما جاء بمقدمة الكتاب، فقد تدر ذلك  
 مارون عبود عندما قل عن لويس شيخو «سمعنا بكتاب شعراء  
 النصرانية فاستقدمناه ، فإذا كل من عرفناهم من شعراء  
 جاهلين قد خرجوا من تحت سن قلمه نصارى. كان التعميل  
 بآباء فإذا به صار بالخير».

\*\*\*

وكما أثبت في كتاب «لدى العرب»، فقد هدم الإسلام الأسس  
 لمسيه التي قام عليها مجتمع تحرير العرسه في الحاشية  
 فاستقرت بعد ظهوره مثل محتلمه تجعل لتخفيف الإسس معايير  
 جديدة نهما. لكنه سرعان ما عاد الفكر الصلب يطل برأسه من  
 حديد وعادات، العصبية لقلية تسيطر على العمل وخاصة مع تولى  
 لامويين مقاليد الحكم وكانت العصبية العربية تعصى هرصة  
 شعر من غير المسلمين لسبوغ في مدح يقيم ليس أساسا بهصار  
 العرب ولانتماء العشائري

ومع لعدسين تغيرت الأمور وصعفت شوكة العصبية العربية شيئا  
 فشيئا وخاصة مد ولاية المقتسم (٧٩٥ - ٨٤٢) أي بعد نحو قرين

من وفاة الرسول، وعلبت عندئذ الصبغة الدينية على الخلافة مع سطوة الأعاجم الذين كانوا يرايدون في الدين نظرا لأنهم يستمدون قوتهم وشرعيتهم منه. فهم لا يستطيعون إثبات انتمائهم لقبائل عربية أصيلة ولا تجرى في دماءهم قطرة عربية واحدة.

وفي هذه الظروف ظهر تيار الشعوبية الذي يناصب العرب العداء كرد فعل على احتكارهم للسلطة والثقافة ولكل الأمور العامة منذ بداية الدولة الإسلامية. وقد تعامل الأعاجم بحساسية شديدة مع اللغة العربية واضطروا لإعلاء شأنها بل والمريضة هي ذلك نظرا لأنهم يريدون لتأكيد على صحة إسلامهم وتمسكهم بالدين.

هذا أحذب اللغة تصطبغ بصبغة دينية مقدسة وبدأت فكرة أن العربية هي لغة القدر وأنها للمسلمين دون غيرهم من أبناء البشر وظهرت مقولة أن «للعربية لا تنصر» وفكرة أن النصرانية واليهودية العري لا يحتملان.

ويروي بطرس البستاني في كتاب «أدباء العرب» (ج ٣، الأندلس وعصر الأيوبيين) أنه عندما طلب داود باشا صاحب العراق من الشاعر الشيخ صالح التميمي أن يعارض قصيدة للمعلم بطرس كرامة اعتذر بقوله

عندما كنت نعلو عن مسألة عدوا أيا فاعلم من رد شعر بصرا

ولمظة ردء هذا بمعنى معارضة. ومن الواضح أن صاحب هذا البيت لا يرضى بأن يقدم مسيحي على كتابة الشعر والشعر واللغة

في نظره حكر على المسلمين وحدهم وليس من حق لمسيحيين أن  
بحوضوا فيهما.

وعندما اكتملت سيطرة العناصر غير لعربيه على الدوله في  
العصر العباسي، كانت دراسه اسعة تقتصر على المسلمين وحدهم  
نصره لأنها تنم في المساحد و لدارس الدنيه وارتبطت بحض  
القرن

ولحقاً المسيحيون إلى العلوم فرموا فيها وظهرت أحبال من  
لاصياء والفلاسفة وعلماء الرياضيات سنعان بهم العلماء  
ولأمراء أما المسلمون فكثروا يعمون عن ساحة العلم ودراسه في  
مناح من التردى الحضارى.

وفد حاول بعض المسيحيين محاكاة الكتب المسمين فسطمو  
لمصائد والتدريعات في مدح لسيد المسيح وحوارييه بألغة  
عربيه. وكان أشهر هؤلاء امطران حرملانوس فرخاب والحواري  
بيقولانوس الصانع صاحب أول مدبغه مسيحية بألغه العربيه

\*\*\*

ويم يقتصر اسهام المسيحيين في الحضائيه على نظم الشعر  
والأرباع بألغه عربيه إلى مسيحيات أرقى. فقد لغسو روزا في  
عنه الاهميه في نوره الكتابه وكما هو معروف فإن الأسى كانت  
سببه على لعرب في حضائيتهم ولم يكن عرب اسديه يتعرون  
داهمه الكتابه. وكان كثر من اهتم بالكسبه أهل اليمن وعرف  
حظهم باسم المسد الحمري.

أما أهل الشمال فقد كانت الكتابة تستخدم في أصيق بطلق  
ولأسباب تجارية أو ما يشابه ذلك وخاصة في المدن الكبيرة مثل مكة  
والطائف ويثرب ويتفق علماء اللغة على أن المسيحيين كمؤر  
تطور الكتابة وخاصة في الحيرة وما حاورها ويرجع المؤرخون أن  
القرشيين تعلموا خط الحزم من بشاري الحيرة في رحلاتهم  
لتجارية إلى العراق فحملوه إلى مكة فظهرت فيها الكتابة من  
الإسلام.

وكان من أوائل الذين عرف عنهم الكتابة بالعربية زيد بن حماد  
وعاش نحو عام ٥٠٠ ميلاديا، أي قبل نحو ٧٠ عاما من مولد  
لرسول ثم اسمه لشاعر عدى بن زيد، المذكور من قبل، وكلاهما  
مسيحيان.



وبعد قرون من هذا العهد لتعيد أسهم لمسيحيين في أحد أهم  
الأنشطة الثقافية التي كان لها تأثير ضخم على لغة وهي  
الترجمة. وهذه دراسات عديدة عن أثر حركة الترجمة وبيت  
الحكمة في توهج ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، لكن أثرها  
لهم في لغة لم يدرس حتى الآن بما فيه الكفاية

وقد ظهرت مشاعر الاتجاه إلى لترجمة عن اللغات الأخرى في  
العصر الأموي، لكنها لم تتحول إلى حركة منتظمة إلا مع العباسيين  
حتى بلغت عصرها الذهبي في عهد المأمون مع إنشاء بيت الحكمة.

وتكد حركه الترجمة إلى لعريه في هذا العصر تنصير على مسيحيين دون غيرهم وكان معظم المترجمين الذين برعوا في هذا العصر من أسريان الساطره، ومن بينهم أبناء محتشوع وإسحق بن حنين بن إسحق ويوحنا بن البطريق ويوحنا بن ماسويه على سبيل المثال لا الحصر وكان يوحنا بن ماسويه طبيب الحلفاء بنوى إدارة سب الحكمة مما يدل على الحكمة التي كان يحظى بها المسيحيون في الحياه والثقافة في هذا العصر المائق حصري .

لكن أوسع المترجمين صفاً وأكثرهم نشاطاً كان حنين بن إسحق (٨٠١ - ٨٧٣) وهو من الساطره وقد ولد بالحيرة وعاش في بغداد وكان يحم بحوم بيت الحكمة كما كان من ألمع المترجمين أنصب بن توف (٨٣٠ - ٩١٧) مولود في بعلبك وهو ملكي كما برز يحيى بن عدي (٨٩٣ - ٩٧٤) الملقب بالناطق.

وكنا هو معروف فقد ترجمت لكثير من أعمال قطاخر الفكر الأعرى من ليوناسة إلى السريانيه قبل ظهور الإسلام وبعد ذلك بكر عملية ترجمه إلى لعريه لعين الكتب الفلسفيه والعلميه لم سبطريقة منهجيه إلا في منتصف القرن الثامن الميلادي.

ويورد كتاب العرب من الرسالة إلى التاريخ معلومات قيمة في هذا المجال مستندا إلى مراجع عربيية أهمها فهرست لابن نديم وتاريخ الحكماء لابن القطمي.

وطبق للمعلومات الواردة في هذه المراجع فقد استطاع بعضه لترجمة إلى لعريية ٥٦ مترجما صوا حياتهم لأداء هذه المهمة،

وكنوا كلهم من لمسيحيين ويقول كتاب «تعرب من الرسالة إلى تاريخ» إنه كان هناك ١٢ مترجماً خلال النصف الثاني من القرن الثامن ثم ٣٠ خلال القرن التاسع وهو العصر الذهبي لترجمة ثم ١٤ في القرن العاشر وهو يصنفهم كالتالي ٣٥ من الساطرة و ١٠ من لبقاقبه و ١٠ ملكيس ومزروبي واحد.

وكان لهؤلاء إسهام صرح في إصفاء آفاق جديدة ليس لبعض العربى فحسب. وإنما للغة العربية كذلك فقد اشتقوا كلمات جديدة على لغة العرب التقيدية هاصموا بذلك مريد من حيوية وحرية على لعربية التي كانت تبال أرقى لغات العالم قاطبة.

وقد فتح هؤلاء المترجمون الباب على مصر عبه أمام علماء العرب الأعد من أمثال الفارابي والرازي وابن سيب وعمرهم والتراكيب والكلمات التي استحدثها المترجمون خلال نقلهم من علماء وفلاسفة لإعريق ساعدت علماء تعرب على صياغة اكتشافاتهم ونظرياتهم شي كانت فتحاً في كافة المجالات العلمية آنذاك



وعاد لمسيحيون إلى القيام بدور إيجابي فعال بعد ذلك بعدة قرون أيضاً وكان دورهم هذه المرة هو استقدام صناعة جديدة على المنطقة كان لها الباع الأثر على اللغة العربية، وهي الطباعة. وقد يتصور البعض أنهم حلبوا مطابع تطبع بالحروف اللاتينية لكن الواقع أنهم هتموا بحلب مطابع بالحروف العربية، وهي البعة التي يحبونها ويعتبرونها لغتهم الأم. وقد يتصور البعض أيضاً أن جب

المسيحيين لطابع عربية في الشرق كان يهدف بحاري تحت ويس  
 حيا في اللغة العربية. لكن ذلك أیص بعيد عن الحقيقة حيث لم  
 نكر المطابع ابدان مدرة للكسب كما هو الحال منذ استيبيات من  
 القرن الماضي.

والملاحظة الجديدة بتذكرها أن لطبعة بالحروف العربية  
 شأب في أوروبا أولا خلال القرن السادس عشر على يد  
 لإيطاليين يصنف خاصة لكن ما يهمها هنا يساهم لمسيحيين لعرب  
 في، خال لطباعة وانتشرها في العالم العربي

ويرجح مؤرخو الطباعة أن أول نص طبع بالعربية كان "كتاب  
 المير" وتمت طباعته عام ١٦١٠ في دير القديس أنطون قزوحا  
 وكان من الرهبان الموارنة وقد طبع بالنعيم السريانية والعربية  
 أما أول مطبعة عربية صرفة في الشرق فقد أسست بحلب سنة  
 ١٦٩٨ على يد لتطريزك اثاسيوس الرابع ويورد بطرس المستاس  
 في كتاب "أدباء العرب" ( ج ٢ ) أنه قد تم طباعة مرر بين  
 الأرثوذكسية والكاثوليكية الملكية

وكانت أول مطبعة عربية في لندن مطبعة مار يوحنا نصيب من  
 الروم الملكيين وقد أسست عام ١٧٢٢ في بلدة الشوبر ثم مطبعة  
 القديس حاورجيوس وهو من لروم الأرثوذكس وأنشأها في بيروت  
 عام ١٧٥٢. ومن الواضح أنه كانت هناك منافسة بين المل المسيحية  
 المختمة لتأكيد على هويتهم العربية



وفي عام ١٨٧٤ ظهرت في بيروت المطبعة الأمريكية ثم المطبعة الكاثوليكية. وبعد ذلك أنشئت مطبعة لعارف سنة ١٨٦٧ للمعلم بطرس تيساسي وحليل سركنس وأنشأ هذا الأخير بعد ذلك لطبعة الأدبية عام ١٨٧٤ .

وفي مصر بدأت الطباعة مع الحملة لمرسية ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ). وأنشأ محمد علي مطبعة بولاق التي سميت المطبعة الأميرية لكن أول مطبعة أهلية هي مصر كانت المطبعة القبطية التي أنشأها الأنبا كيرلس الرابع سنة ١٨٦٠

وقد انتشرت المطابع في العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) لكن الريادة في هذا المجال كانت للمسيحيين وساهموا بذلك في توفير الأداة اللازمة لنشر فكر النهضة ولازدهار الصحافة وما واكب ذلك من تطور حاسم في اللغة العربية.

\*\*\*

ثم جاء عصر النهضة فكان للمسيحيين مرة أخرى دور في منتهى الأهمية في بعث لغة العربية وآدابها وكانوا ركنا من أهم أركان الانعاشة المكنية والبعوية في القرنين لتاسع عشر والعشرين بل ، بعضهم كانوا من رواد حركة النضال الشعري التي ظهرت على استحياء مع بداية القرن التاسع عشر . وكان من أشهر هؤلاء لرواد يقولوا الترتك ( ١٧٦٣ - ١٨٢٨ ) وبيطرس كرامة ( ١٧٧٤ - ١٨٥١ ) وهم من أبرز من سعوا لإحياء شعر العربي وبعث تراثه العظيم .

وعاد المسيحيون إلى الصمود الأولى في البلاد بأحمد وأرق  
قصائد بعد طون بقطاع بسبب لتعصب السوي لدى عانو منه  
طويلا وحرهم من استنجد ام، العربية بحجة أنها لغة المسلمين  
وحدهم فظهر خليل مطران وبشارة الحوري الملقب بالأحطل  
لصغير وكانوا من أعظم شعراء العرب في القرن العشرين.

كث تصحرت موهبة شعراء المهجر الذين اشتمل حينهم لوطنهم  
عربي بعد ان هاجرو منه وبرغ نجم يليه أبو ماضي وميخائيل  
نعيمة ورشيد سليم الحوري الملقب بالساعر المروي

ورما كن ألم من هاجرو وتركوا بصمة على الأدب العربي  
حمون خليل خير (١٨٨٣ - ١٩٢١) صاحب كتاب «أسى» الذي  
بعد بحقه أدبية بمعنى لكلمه وبرغم أن الحاسة الأكبر من  
بد عاب حبران باللغة الانجليزية إلا أنه ترك شعرا رقيقا سيطر  
مخيمرا في الفارح الأدنى لعربي ومن أشهر ما عتبه المطرية  
للنابة فيروز من قصيدة الموكب

أعطيني ناسا وعين	فأعنا خبر صله
واسر اسان بيـعـي	بعد ان تعنى لحياء
اعطيني الناس وعين	واسـسـداء ودواء
أها الناس سطور	كنـسـب لكن ماء

أما دورهم في إنشاء وتطوير في الصحافة فهو معروف للجميع وقد أسهموا حبا إلى حب مع إخوة بهم المسلمين في تطوير لغة العربية وتطويرها لمقتضيات الأحرار والمصالحات التي يشرونها في صحفهم

ومن أقدم دور الصحف التي لا زالت تلعب دورا متميزا في الصحافة العربية «لأهرام» و«دار الهلال» وقد أسسها لأهرام بالأسكندرية في سنة ١٨٧٦ لأخوات سليم وبشارة تقلا وهما مسيحيين، ثم نقلوا إلى القاهرة عام ١٨٩٢

أما مجلة «لهلال» فقد أسسها عام ١٨٩٢ حريز زيد، وهو مسيحي لبناني درس مثل الأخوين تقلا في لبنان، في مصر بسبب الاضطهاد العثماني.

وهي الأسكندرية صدرت صحيفة «المحرسة» عام ١٨٨٠ على يد أديب إسحق وسليم النقاش أما المقطم التي انطلقت من القاهرة سنة ١٨٨٩ فقد أسسها ثلاثة مسيحيين هم يعقوب صروف وفارس نمر وشافعي مكريوس وهي القاهرة أيضا أسسها بقولا شحاده «الرشد المصري» عام ١٨٩٦ .

وفي عام ١٩١١ أسس ثروت مسلم ومسيحي هما لشيخ أمين وفي الدين وأنطون الحميل في إصدار مجلة سياسية أدبية باسم «الرهور»

وهي لبنان، كانت مجلة «لجنان» التي أسسها المعلم بطرس البستاني عام ١٨٧٠ من أوائل المجلات السياسية الأدبية التاريخية

في لوطس العربى. ونشأ منه سليم لميتى «الجمعية» التى كانت  
ول حرسه منطمة شبه يومية فى لندن عام ١٨٦١

وفى دمشق أنشأ سليم حنا عنجورى سنة ١٨٨٧ مجلة «مره  
لأحلاق» ونشأ جورج متى وجورج سمس سنة ١٩٠٠ مجلة  
«سمس»

وفى بعد ر ظهرت مجلة «زهيره بعدد» للآباء لكرملين عام  
١٩٠٥ وحتى فى الموصل شئت مجله «إكليى لورود» للآباء  
انوسيكين عام ١٩٠٢ .

ومن لو صبح أنسى اقتصر هه على لاسهم المسبحى وحده  
ههت در سات كنثرة عن ترسخ لصحافة من لمكن لمارىء أ  
صبع عسها للانام بهه الصاعه انى كس لها نفع الاثر عى بعة  
العربية

ولم يكتف مسبحيون بالمشاركة فى إصدار الصحف و لمحات  
فى معالم العربى فقد كانوا سباعين بضا فى اشء الصحف  
اندرية فى الخارج.

ومن لرواد الأوائل فى هه لمحن ررق الله جسوس الذى بار  
عام ١٨٥٥ بإصدار جريده «مره الاحول» فى الأستاذة عاصمه  
لخلافة الإسلاميه

و صدر أدب اسحق فى باريس مجله «مصر» شهرة» عام ١٨٦٩  
و حبا عاصم عام ١٨٨١ بإصدار «النصير» فى عاصمه سز

ما في أمريكا فقد اصدر النعانيون في المهجر عدة صحف في  
و حبر الصور تتسع عشر وسية العشرين لا يتسع المجال  
لاستعراض اسمائها هنا.

وعندما فتح العالم العربي على العرب في عصر النهضة كان  
لمسيحيون النساطرة سباقين الى ترجمة علوم لأدب الفرنسي  
والانجليزي حاصه الى العربية، ثمما كما حدث في أوج ردهر  
سنة العباسية وكان أشهر هؤلاء سديم البستاني ونحيب طرد  
وسمولا ررق انه وطانوس عدة

كما كان لبعض المسيحيين سهم لا يسهان به في مجال سعة  
و لبعو من امثال بطرس البستاني والخورى نعمة الله باخوس  
وبصيف لبارحي وله كتب في شرح النحو والصرف مثل «نار القرى  
في شرح حروف الفراء» و الجمانة في شرح الحرة»

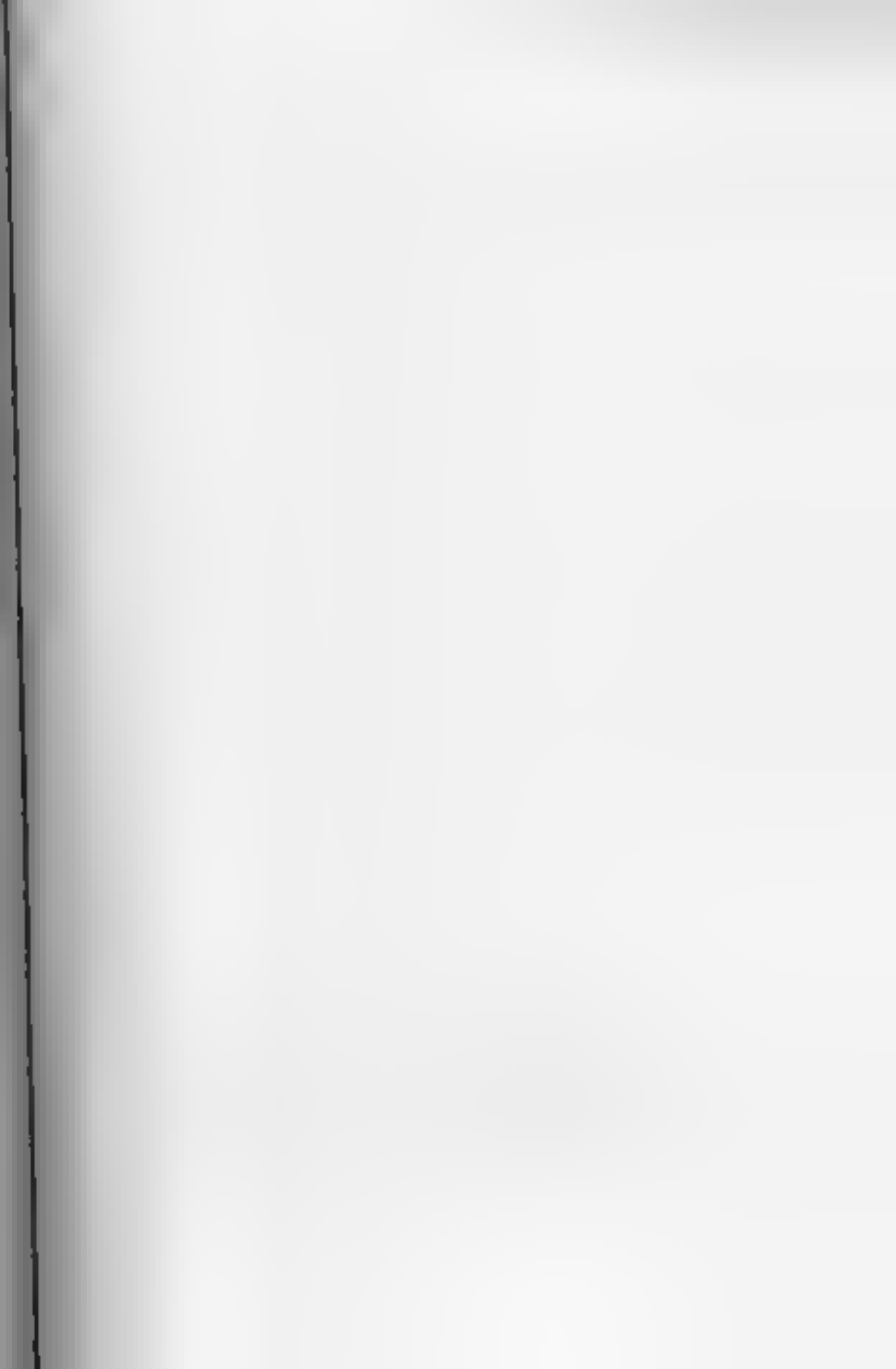
وهناك أدلة لا حصر لها على عشق المسيحيين للعربية ودفءهم  
عنها في موجهة كل محاولات «شيوه».

ففي مدينة لقرى العشرين ظهرت بالعراق مجلة «لغة العرب»  
التي بدرت نفسها لحماية لغريه من انة شوائب ولإبقاء على بقا،  
اسفة وكان صاحبها الاب أسطاس الكرملی

كتب اصدر إبراهيم لبارحي (١٨٤٦ - ١٩٠٦) كتاباً بعنوان «لغة  
الحرم» ثم يحمل فيه بعض على لغة الصحافة حرصاً منه على لغة  
النصار

و ينصح من هذا الاستعراض السريع مدى إسهام المسحس في  
عم وتطوير النعم العربية هي كافة العصور وكل المجالات من نشأه  
كتابه إلى الأبد إلى لترجمة إلى تطبعه إلى تصحافه، حسا  
إلى حسب مع إخوانهم المسلمين.

\*\*\*



## المتنبي يخاف من الإعراب

لا أظن أن هناك شعب في العالم يعشق لعبته مثل العرب وهذا  
أسباب عديدة تجعل اللغة مكانة خاصة في لوحدن لعربي فهي  
أولا تأتي برل بها لفران لكريم كما أنها اللغة التي حلت لنا بها  
استنص نرثا أدبنا وعب يهر أدبي أوتار القصص ببشرية ولعب  
حمية بعمل وتتميز بموسيقية تلقائيه بطرب لها الآذان حتى لمن لا  
ينهم المدعي بدقه كما أنها لغة شبقاقية على عكس عالسة لغات  
العالم لقديمه ولحديثه وكلها لعبت تركيبيه وميرة اللغة  
الاستقابة المرونة والسهولة في استجرح الكلمات وبراكيب  
احدده وصدق حافظ ابراهيم حسن قال على لسان الفرييه

أنا اسخر في أحسنه الدركامي فخر ساءوا لغواص عن صدقني  
وكل هذه المقدمات لابد أن تؤدي إلى نتجة منطقية واحدة هي  
تمست العرب بالعامل بهذه اللغة المصحح التي يفشونها ورفضهم  
لأن وسيلة أخرى ستعبر عن أنفسهم لكن الواقع كما نعلم عكس  
ذلك تماما.



وهناك سؤال بسيط لا تطرحه على أنفسنا لأن ثقافتنا تهمل علينا عدم الاقتراب من مناطق تعتبر محظورة بل محرمة على التفكير. والسؤال ببساطة هو كيف هجر العرب هذه اللغة طوعا على لرغم من عشقهم لها وتمسكهم بها ؟ لماذا لا يكلم الناس من مصر أو هي العالم العربي باللسان المصرية ؟ لماذا أصبحت المصحح وكأنها لغة حوارية تستخدم في تحسين العلوم والكتابة لوسمية فقط ؟

فحين نستخدم في معاملاتنا اليومية على كل المستويات اللهجة لدارجة سواء في مصر أو في أي بلد عربي آخر وحتى في مكة المكرمة مهد الرسول وسور اللغة العربية الأصل يتحدث الناس لهجة ذرحة نبت من العربية بقدر ما تبعد عنها اللهجات المصرية و لسورية. وإذا كانت العربية لغة مقدسة كما يدعي البعض فكيف بهذه مسلمون مؤمنون بدينهم ويقيمون هرائضه ولا يدحرون وسعا في إرضاء ربهم ؟

وقد وصل الأمر إلى أن العربي كان يفضل فناء الدنيا قبل فناء لغته كما جاء على لسان الشاعر المهجري

لغة يهون عليّ نبيها أن يروا يوم العاصف قبل يوم وفاء

ومع كل ذلك، فلا يوجد عربي واحد في لشرق أو الغرب يتعامل بالمصحح بتلقائية ولممارسة حياته اليومية. فمن يتحدث المصحح يتكلم ما هو ليس في طبيعته وبدل مجهود لتعبير عن نفسه بها وعدة ما يخطئه في كل جملة يطق بها

كلمة تفسر هذا التناقض الواضح بين المقدمات و نتيجة  
بواقعه التي نعرفها جميعا ؟

ستجد بالتأكيد بعض العقول مسوية التي ستقدم تبريرات غير  
مطابقة لمصرحها عن الحصص بأسلوب لأرهاب أسكر

لكن الإجابة المصقبة الوحيدة هي - العربية من تصعوبة  
و لتعقيد بحيث جعلت العرب يعرضون عنها بانعطاف بلا عيب  
في استفسارهم ومن آخر تصادم فيما بينهم

لإجابة أسطورية توحده مهم كانت فلسفة على مصر هي  
ان تصحى لا تالئم ممتصيات معاهم ومن المعلومات ونسب  
حماق العالم لدى يعيش فيه العرب سواء في مصر و اسبغوسيه  
و سوريا أو الجزائر أو في أي بلد عربي حر و طهرت لهجات  
كسبل نقاشي على لسان شعوب العربية لتصعوبة استخدام العربية  
في حيز التعامل اليومي.

نفس عدى أدنى شب في أن سكان كل أمة من العربية هم يتحوا  
عن عرسه ببساطة أو عن طيب خاطر وهم لم يعرضوا عن لغة  
الصداء منذ قديم الزمان ولم يلجأوا إلى لهجات بدية في صرية  
الصدفة فلا بد بهم شعور بأنهم لحققوا عن تتقدم عن  
نفسهم بألمة التي يحسوها ويشعرون بحاجتها يستحسن ولا حرم  
لأنها اللغة التي نزل بها كتابهم المهدم

وقد ترجم أمير الشعراء ومع لغوي شفته في فلسفة تصادف عند  
فتح الأهرام ترحيبه بالكتاب سبسي من أروعها حيث قد

إن لدى ملأ اللغات محاسنا      حل الإجمال وسره في الصدد

\*\*\*

ومع تعاقب الاحوال تم تحقيق لغات العامية في مصر واشام  
و لعراق وشمال أفريقيا من العربية المصحى من ناحية واللهجات  
التي كانوا يستخدمونها قبل تعريف بلادهم من ناحية أخرى

ولأسف أننا لا نعرف بطريقة علمية كيف كان يتحدث الناس  
خلال الحقب المختلفة في التاريخ العرس لأن الموروث لدور يقتصر  
على المصحى إلا باستثناءات نادرة قد بقى البعض أننا على  
يقين من كيمية كلام العرب في الماضي البعد ، لكن مثل هذا التأكيد  
نُفِر إلى «المهذبة» منه في المعرفة العلمية

لشيء المؤكد هو أن العرب في كل مكان محسروا الفصحى  
ولجأوا إلى أساليب أخرى للمصاحم فيما بينهم ومن هذا المنطلق  
عبيرا أن بحث في أسباب البعد عن لغة يعيشها العرب وانتحت  
أحمل المعاسي الشعرية والأدبية التي تدرسونها في المدارس  
والجامعات.

فاللغة التي يتحدثها الناس لتعامل هي الأقرب إلى العقل وإلى  
النفس وليست اللغة التي يتكلم الإنسان جهدا ناعا للتعبير عن  
نفسه بواسطة.

ولدرسونا لطفور الخصاصات أدركوا أن لغة معاكسة البواري  
مع تقدم الحصارى فكلما وصلت إحدى الحصارات إلى درجة مر

التعقيد والتطور الراقى كلما شعرت بالاحتياج الفطرى إلى لغة سهلة تعبر عنها. وهذا هو سر الجهود المستمرة فى تبسيط اللغات الانجليزية والمريسية والألمانية وغيرها من لغات الدول المتقدمة. وكلما ازداد التقدم كلما ازدادت الحاجة إلى تبسيط اللغة.

وبعيدا عن اتفاق، فإن علينا أن نطرح على أنفسنا مجموعة من الأسئلة التى نرغم عادة حتى التمكير فيها، ناهيك عن طرحها ومناقشتها على الملأ. وأول هذه الأسئلة هو عدد العرب القادرين على فهم التراث الشعرى العربى. حيث أن الشعر هو أهم ما تركه العرب من آثار فنية وثقافية. وممضى آخر من يستطيع أن يقرأ قصيدة للمتنبى أو ابن الرومى ويهمم معانيها فهما معقولا ؟ كم شخصا قادرا اليوم على القراءة يستطيع أن يعسك بديوان السحترى أو أبى تمام ويتذوق ما به من أشعار ؟

وإجابتى عن هذا السؤال هى أن النسبة القادرة على هذا لن تزيد بحال من الأحوال عن واحد فى المائة من أبناء الشعوب العربية فى أحسن التقديرات. ومن يفترض على هذه النسبة ويرفع شعارات حماسية عليه أن يقوم بتحرية عملية على من حوله من الأشخاص العاديين أى غير المتخصصين فى الأدب أو اللغة العربية وحتى لو شملت هذه التجربة حريجى أهضل الجامعات فى الطب أو الهندسة أو التجارة أو حتى كليات الآداب باستثناء قسم اللغة العربية، فإن النتيجة لن تزيد عن نسبة هزيلة للغاية تؤكد وأد مطمئن أنها ستقل عن ١ فى المائة.

وإن أحسنا في الاعتبار نسبة الأمية المرتفعة في لعالم العربي،  
ولتى تريد ليوم عن ٥٠ /، سجد آل، فتر ص ١ / الذى ذكرته قد  
يكون أعلى كثيرا من الواقع فأعرب، لظن أن نسبة من يهتمون  
الشعر العربي، وهو العمود العزى لتراث الثقافة، لن تريد عن  
نصفه فى المائة أو أقل من ذلك، ربما ارتفعت قليلا فى دول تعدد  
سكانها سنيل، وحصل أساؤها على فسط من التعليم أكثر من  
غيرهم لكن هذه النسبة لن تزيد بحال من لأحوال عن ٢ أو ٢ /  
على أكثر تقدير وهى عدد صنيى حد من الدول، بها المتوسط  
لعام لن يريد عن نصف فى المائة

\*\*\*

ولا يقتصر الأمر على الشعر وحده فلو عرصنا كتب «الأعراس»  
على المعين من غير المتخصصين فستكون نسبة الذين يهتمون  
الكتاب بصورة مرضية و لصادرين على إدر ك معانيه وتدوق ما  
أبدعه الأصمهاى نسبة صنية للدية.

والغريب أنى عندما طرحت هذا السؤال على لبعض أبدي  
عصبة من لطرحدته، وقد تهرب من الإجابة عالبيه من طرحت  
عنيهم السؤال ورفضوا أن يقرؤا بحقيقة لا تضل أى شك، وهى أن  
لعالبيه لعظمى من المصريين ولعرب غير قادرين على استيعاب  
الشعر لقديم ولأدب لكلاسيكى دون شرح مستفيض.

ولا أهم لماذا تهرب من الحقيقة وبكره أن ترى لوقع كما هو  
وكما حاولت أن أبرز فى كتاب «لداء العربى»، هون من أحظر عيوب

انعصر شعري الإصرار على رفض مواجعة الوقع والميل إلى  
الاستسلام لإرادى للأوهام فمن أكثر ما يزعجنا أن يخرج عينا  
من لكشف المستور الذي يعرفه الجميع لكن لكل سكتة ويرفض أن  
يجهر به

والعبدية العظمى من لتدرب عن فهم أو تذوق لشعر العربي  
قديم سمون على الأرجح للجامعات ومراكز البحث الأكاديمي  
وأساتذة وغيرهم ممن وهبوا حياتهم للغة والأرب أما الباقيون  
فهمهم للشعر قسري ويدركون المعنى العام للبيت لكنهم بالتأكيد لا  
يركزون معاصره الحقيقة والعميقة

ولا أعتمد أنه يوجد شخص واحد في العالم العربي يستطيع أن  
يدعي أنه قادر على فهم كل المعنى ولا يقوته كلمة وحدة هي شعر  
عربي القديم. فهم بعض أن يستوعب عمل واحد ما يقارب ٤ مليون  
كلمة مهما أوتى من ذاكرة خديسة ؟ مثل هذا أنكم انهارت في حاحه  
أن كوميونتر للحفظ وتخزين وقد وجدت انقواميس في كل للعب  
هذا السبب بالذات وهو سبب أن يستوعب عمل واحد معاني كل  
كلمة في أي من لغات العالم ومشكلة كما قلت هي أن القواميس  
سموية غير متوفرة في العربية بالسهولة وبالأسلوب المعنى لدى  
حده في انفتحت الانجليزية والفرنسية بصفة خاصة.

ولاميد المدارس يكتفون بحفظ لشعر دون فهمه لمجرد النجاح  
بالامتحان وهم يصرعون بلسان ما حصلوه بمجرد الحروح من  
قاعة الامتحانات وكأنه وهم وانراخه من على كاهلهم

وأعترف أنني كنت من هؤلاء. فقد كنت أحفظ شعرا كثيرا نسبيا من أيام المدرسة لكنني لم أكن أفهمه، وعندما استرجعت هذا الشعر بعد بلوغ سن الصبح الذهبي، أدركت المعاني التي كانت خافية عني تماما في السابق. والعريب أنني كنت قد نسيت هذا الشعر ولم أكن أتعيّل أنه لا زال كامنا في أعماق ذاكرتي. لكنه كرس بالفعل محرونا في العقل الباطن حتى تم استحضاره عندما أعدت قراءته وأنا كبير.

والأرجح أن الغالبية المظلمة من المصريين والعرب لا يتاح لهم أن يستفيدوا من أعماق الذاكرة أبيات الشعر التي حفظوها في مرحلة الدراسة. ولولا والدي رحمه الله لأعتقد محمد مهين الشوباشي. ولولا احترافي الكتابة لظل الشعر الذي حفظته مدفونا في مجاهل اللاوعي بذاكرتي ولم يظهر أبدا إلى السطح.

وأستخلص من هذا أن الذين يجيدون العربية إجادة تسمح لهم بفهم التراث، هم الذين أفنوا حياتهم في تعلم اللغة والدين وهؤلاء مطلوبون في مجتمعاتنا. لكنه لو فعل الجميع مثلهم فلن تكون لدينا هياكل البنية الأساسية للدولة لأن هؤلاء غير قادرين على استيعاب العلوم الدينية.

وأعم أن مثل هذا كلام وثلك الاستفسارات ستثير قلق وحفيظة الكثيرين وسيجد هؤلاء تبريرات وتصويرات غير منطقية، لكنها ترصني فدعتهم العمياء بالارتباط العسوي بين الشعوب العربية

ولعه الصائد وبالتأكيد أن هذه العلاقة العنصرية موجودة بالفعل،  
بكنها ليست كما يدعيه حراس العربية وحماء ثروت المصنف

\*\*\*

وصعوبة اللغة العربية ليست ظاهرة حديده يعاني منها الإنسان  
العربي في هذا الجيل وحده فهي سمة قديمة لها حضور في أبعاد  
عصور التاريخ العربي.

ومن يحاول في ذلك عليه أن يتأمل بيما للمتنبي والطوف ليس  
كتب فيها هذا البيت يقول مدرس العربية  
وكلمه في طريق دعت أعربها قنصدي لن فلم أقدر على اللحن

ويروي لنا محمود محمد شاكر ملاسات هذا البيت في كتابه  
«المتنبي» فيقول إن الشاعر «الكبير كان قد صضر للهروب من «حمى  
حرش» خوفاً من بطش شخص يدعى ابن كروس وصمه بالأعور  
وقد اتهم الشاعر كما يقول الكتاب طلمات السابعة متوجهاً إلى  
الطباكية ويظم قصيدة لدى وصوله إلى بر الأمان يمدح بها أب عمه  
أبيه لخصيب الذي كان يعوب عن أبيه في مجلس المصنف بالطباكية  
كما يقول محمود شاكر.

لكن المهم بالنسبة لنا هنا هو «المتنبي الموحود في هذا البيت  
لوارد بالقصيدة.

فيسبى نقول إنه خاف خلال هروبه أن يطلق بعة عربية سسمه  
خوف من أن يكتشف الناس هويته وكلمة لحن هي لحن في



إعراب الكلمة وبالتالي هي نطقها وتشكيلها . أى أن النطق بلغة سليمة يدل على أن المتكلم شخص غير عاوى وخارق للعادة . فالنطق الحسن إذا هو القاعدة . ومن لا يحظى هو الاستثناء . فبدأ نطق المتنبى دون خطأ فمن الممكن أن يكتشف ويعرف أنه شخص ينتمى إلى الصنعة

وإذا صدقت نظرية علوية المتنبى فإن خوفه من اقتصاح أمره كانت حاجسا يزرعه على الدوام . لكن ، لهم عندما هنا هو أن المتنبى يقر بأن من كان يتحدث لعربية فى هذا العصر بلا أخطاء كان بعد شخصا غير عاوى .

فكيف نلوم الناس اليوم على عدم إلمامهم باللغة وجهلهم بقواعدها ؟ فمن الواضح أن عدم معرفة اللغة كان سمة دائمة فى «عالم العربى» ونحن نتحيل فيما يبدو أن الناس فى الماضى وخاصة فى عصر الرسول و لحلفاء الراشدين ثم فى العصورين الأموى والعباسى كانوا كلهم سبيويه أو المتنبى أو أبا تمام وهذا غير صحيح على الإطلاق فصعوبة اللغة جعلت إجادتها التامة دائما صمة من صفات الحاصلة التى كانت تحمط القرآن وتقرأ كتب التراث .

أما العامة أى غالبية لشعب العربى أو لخاضع لسلطان الأمة الإسلامية فقد كانت معرفتهم باللغة معرفة محدودة تسمح لهم بآلتهم وربما القراءة والكتابة ، لكنها ليست على أية حال معرفة رصينة وسليمة لقواعد اللغة

وقد كان الشباب يكيد أعتى المشاق في بداية القرن الواحد والعشرين لتعلم قواعد اللغة العربية فقلنا أن نلخص لهم لغير، خاصة إذا علمنا بما أفصح عنه أحد ألمع بلغاء العرب في لعصر الحديث وهو الإمام محمد عبده. ففي المجموعة لكاملة لتي جمعها الأستاذ محمد عمارة بقول محمد عبده حفيد في كتاب شرح النحو عن تعلمه لقواعد اللغة «فحملني عدم الفهم على الهرب من طلب العلم لتمكن اليأس من نفسي». فهذا كان محمد عبده شخصيا قد تعدد مند نحو مائة وخمسين عاما بسبب هو عد لعربية فهاد عن شائسا ليوم ؟

\*\*\*

وقد أدرك رفاة الطهطاوى صعوبة اللغة العربية عندما بدأ يعلم الفرنسية خلال بعثته لباريس التي دامت من ١٨٢٦ إلى ١٨٣١ وخلال هذه السنوات الخمس استطاع الطهطاوى لإلام بالفرنسية وقو عدما إلى درجة مهرة جعلته قادرا على لكتابه بها بور أخطاء في قواعد اللغة أو الإملاء وقد وقع على خطاب محفوظ بأحد المتاحف الفرنسية في باريس بخط يد الطهطاوى. ويصر حة فقد ذهلت لأن الخطاب ليس به خطأ واحد في اللغة وأعتقد أن هذا لا يدل فقط على عبقرية الطهطاوى، لكنه يدل كذلك على السهولة النسبية لتعلم الفرنسية خاصة بالنسبة لشخص غريب عن الثقافة لأوروبية. فتعلم الفرنسية قد تكون سهلا على شخص إيطالي أو إسباني نظرا لقاربها مع لغته الأم. لكنه صعب جد بالنسبة لعربي تربى على لغة سامية

ويقول رفاعه في «تخليص الإبرير» عن المرسية كان لسانهم من أشيع الألسن وأوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فإنه خال منها ومن الواضح أنه يقرر المرسية بالعربية العامة المتردات و لتلاعب بالعبارات والمحسنات المدحمة،

المشكلة هي أن من يرفضون بشدة أى تطوير ملموس هي اللغة هم أنفسهم الذين يرفضون بصراوة أى تحديد هي كل مظاهر الحياة. وهم الذين يفهمون هي مواجهة كل محاولة جادة للخروج من مأرق العسك بالمضى على حساب الحاضر والمستقبل، وهم أنفسهم الذين يرفضون مرجعيات سنمية لكل قصايا المجتمع ومشكلاته المستعصية وهؤلاء يقعون الدين لحيم هي كل شيء ليس هي السياسة فقط لكن هي التعاملات اليومية و لعلاقات الاجتماعية والقوانين وقواعد السوق العام. وهم يعمدون إلى ترويع الناس معمويًا من أجل الحفاظ على الضديم الذي يناسب مصالحهم.

وقد نجح هؤلاء، هي إسكات كل صوت ينادى بالتطوير بتوجيه أشيع الاتهامات إليه وأولها بأنه معاد للدين وكاشر ماله. وقد أصبحت هذه الاتهامات المخيفة حاضرة على ألسنة حراس الماضى ونبسوا هي حاجة إلى سد من المنطق للإطاحة بمن يفتح فمه للاعتراف. وأصبح الإنسان متهما عندهم بالكفر حتى يثبت إيمانه

وفي كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» الصادر عام ١٩٢٧ بينه الدكتور طه حسين إلى خطورة تحجر اللغة العربية ويدعو إلى إصلاح اللغة بصورة عاجلة وفي المصنف أسى يحمل رقم ٢٧ بطبعة دار المعارف الصادرة عام ١٩٩٦ وبحث عبور «الـ» اللغة العربية التي تتولى الدولة تعيمها يقول طه حسين إن إصلاح اللغة «أصبح ضرورة من ضرورات الحياة بل من ضرورات الدين نفسه»

لكن المارقة هي أن عميد الأدب العربي لا يبدأ بنفسه فهو يكتب لغة بلاغية رائعة الجمال، لكنها لغة ليست في متناول نصارى العارى سواء في عصره وفي بداية لقرن الحادي والعشرين. ولغة التي ستخدمها طه حسين في هذا الكتاب وهي كل ما كتب بعيدة كل تبعد عما يادي به من ضرورة تيسير اللغة وتبريبها إلى لغامية ومع لا عبر ف بجمالها الكلاسيكي فإن لغة طه حسين أقرب كشر، إلى لغة الحاحط منها إلى لغة التي يادي باستخدامها. وقد حاول في أحد كتبه تطبيق رأيه في كتابة اللغة كما تنطق لكنها كانت تحرة فشله ولا يعرف عن هذا لكتاب إلا لتخصصين دون غيرهم.

\*\*\*

ومن أئبر الأمثلة على التحجر الذهني لذي بعكسه بعلاء تحجر نحوى في الألفاظ والمعاني ما ضل يصنعه الشعراء العرب لعرون طريه فقد كان تقليد القديم شروطاً حديدياً للإبداع لشعري وكل ما خرج عن لسلف كان يعبر محاولات شيطانية عبر مقبولة فكان شعراء حتى العصر العباسي كثيراً ما يضطرون إلى البكاء على

الأطلال والتمنى بالماقة وبالنيداء وبالرمح في عصور احتضت فيها كل هذه العواصر من حياتهم. فالبندو الرجل كانوا يدرهون الدموء على الأطلال التي تركها قوم حبيبهم بسبب الترحال من مكان إلى آخر بحثا عن الماء وطروف معيشية أكثر ملاءمة أم شعراء لعصر الأموى والعباسي الأول فكادوا في معظمهم يعيشون في ابدن أو القرى التي لا يحتاجون فيها إلى الترحال وكانت حبيساتهم تسكن مكانا ثابتا ولا يحتاج أهله إلى التنقل.

ومع ذلك فقد كان الشعراء في ذلك العصر يدعون لإرادة التيار لحافظ العالب مع أنهم لا هم يعيشون في الصحراء ولا يركبون الجمال ولا يستخدمون الترماح لكنهم طنوا مصطربين لمحاكاة القدماء بنفس المعاني ونفس الكلمات فجاء شعرهم مضجك ومحزنا في الوقت ذاته.

وكان لشعراء المتردون على تقدم يلقيون ألوانا من لمعت نصير إلى حد الصرب والطرد والحس ولا تهم بالزبدقة كل هذا بقصر من يدعون حمية الدين وحماية اللمة من عدوان «المارقين» لكنه رد كدت العربية قد نالت شيئا كبيرا من لتطويز وذلك بمصن هؤلاء «لما رقين» الذين احترأوا على المحرمات وشعروا بصروزة كسر القوالب الحامده لمروضة من قبل حراس الماصى في كل زمان

وبرعم الإرهاب المفكرى لمصن حماسة التقديم أبدك استطاع الشعراء المكك في كثير من الأحيان من إفسار الماضي وبدأوا يعبرون شيئا فشيئا عن بيئتهم وعصرهم.

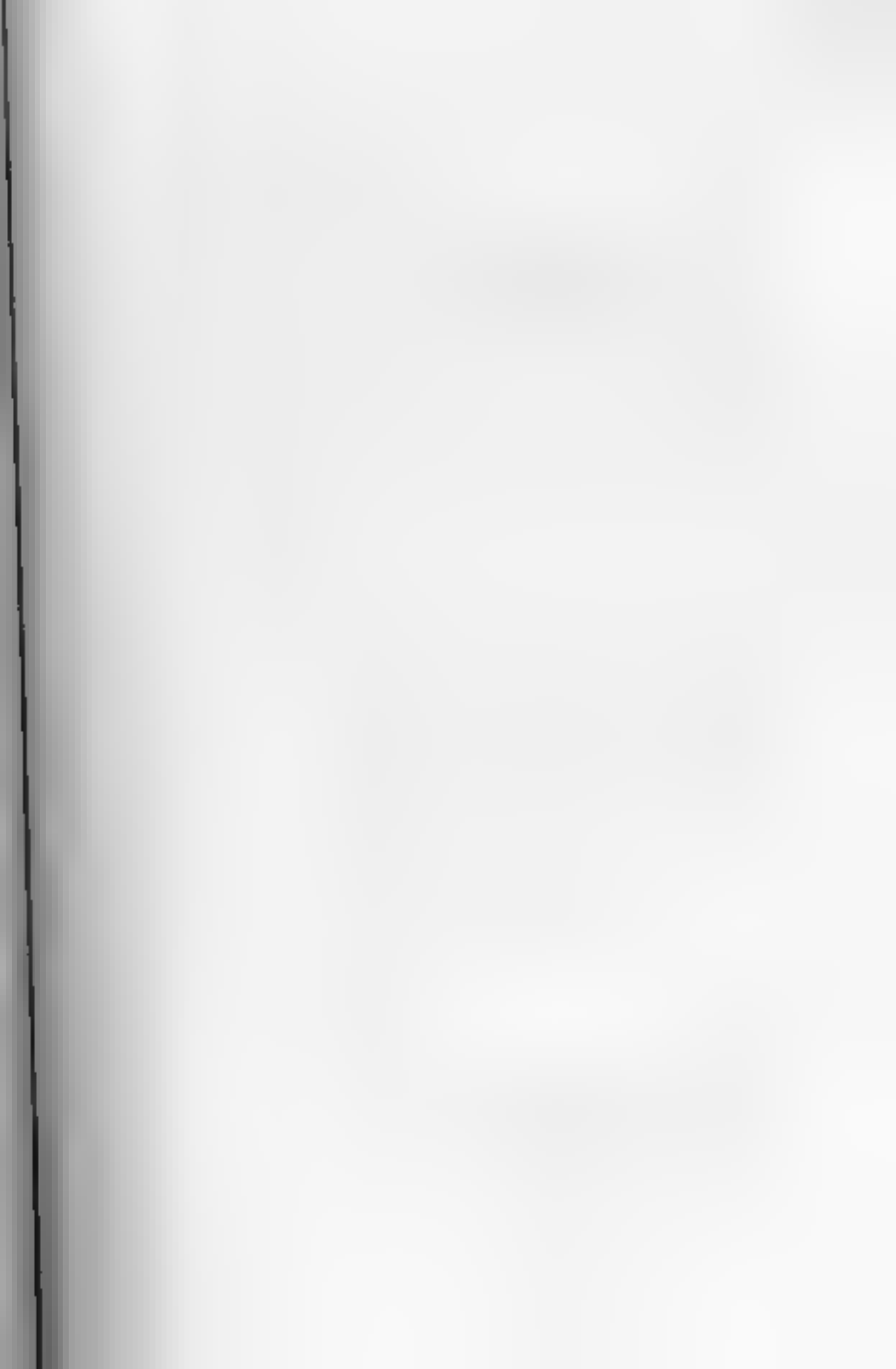
وذكرى ما لاهام هؤلاء لشعراء من عبت ومعداة على يد  
لتارات المحاظه على القديم نانس يعيشون يينا ليوم ويريدون  
فرص أفكار لم يعد لها ما سررها في عالم القرن الحادي  
والمعشرين كما يصرون على عدم المساس بالغة التي ورثاها من  
السف وان لأوان أن تطورها حتى تحدى عصرها الحالي

فلا توحد دولة كبيرة و حدة كما قلب لا تفل لجهد المستمره  
من أحس تطوير لغة العصر لى يستخدمها ساؤها بهدف موكبة  
لتصور الطبيعي لى يصرص نمسه على المجتمعات

أما نحن العرب فعاند سه لتطور وبصادر المستقبل لتصبحه  
لنصى والتتجه أن غالبية العرب يحطون في لغتهم الأم ولا  
يلمون بقواعدها الأساسية

وما سحبه مما سبق ليس أن الشعوب العربيه شعوب حاشيه  
وعاجزة عن استيعاب لغتها الأم، لكن ما استخلصه هو أن اللغة  
عربية لم تتطور كما ينبغي لتلائم العصر لى يعيش فيه وأنه أن  
الأور لتحديثها ومن الغيث فعلا، لتعسك برهض لتغير على  
أساس دعاوى و هبة تلعب دورا رئيسيا في تخلف العقل العربى

\*\*\*



## شيزوفرينيا لغوية

لعل أدق توصيف للحالة اللغوية التي يعيشها الإنسان العربي منذ قرون طويلة هو ما يطلق عليه في علم النفس «شيزوفرينيا» فهو عندما يحدث على شخصته في مرله وفي عمله وفي الشارع ولسوق، يستخدم اللهجة الدارجة السائدة في بلاده، لكنه عندما يقرأ الصحف أو يستمع إلى بثرات الأخبار في الإذاعة والتلفزيون وعندما يقرأ لكتاب أو يكتب طلباً أو مذكرة في عمله فإنه يسقل في لغة أخرى مختلفة هي العربية الفصحى.

ولو عرفنا، لغوية بأنها لغصني وحدها فستقع في مدارفه عربية وهي أن أكثر من نصف أبناء الشعوب العربية ليسوا عرباً ضمن المعروف أن أكثر من ٥٠٪ من سكان العالم العربي يجهلون العربية الفصحى ولو عرفنا العربية بأنها اللهجات التي تتحدثها الشعوب العربية تكون قد وقعت في خطأ كبير.

ولأى أعيش حالة لشيزوفرينيا لغوية، مثلى مثل ملايين العرب كنت أتصور أن المارق بين الفصحى واللهجات صئيل لعانة



وأن من يعرف أحدهما وخاصة المصحى يعرف الأخرى أو على الأقل لا بد أن يفهمها لكن العربة وخاصة مشاهدتى للأجانب الذين يعملون العربية أنفسهم بمدى لهوة بين العامة والمصحى هالأجانب الذين يحبون المصحى، حدة تامة وعكس، سوس من عمرهم على دراسة لغتنا بعززون أفواههم عندما أحدثهم بالعامة المصرية ولا يفهمون شيئ مما أقول

دا فكل عربى معلم يتعامل فى حياته ليومية ساعتين مختلفتين حتى وإن جمعتها مصدر ب عدة وبعض لقواعد العامة.

وقد يحدث البعض أن الهمج كانت موحودة دائما فى العربى فما الذى استجد حتى يفكر الآن فى إيجاد مخرج من هذا الوضع ؟ وهم يرون أن حالة النعايش التى استمرت قرونا متعاقبة يمكن أن تستمر هكذا فى أبدي الأبدى. وقد سردت فى المقدمة بعض المستجابات التى تجبى على لغتنا الحميمة.

وبالإضافة إلى تلك الأسباب، فانه يموت على هؤلاء البعض أن حالة شيروازيا بعوية فى الماصى كانت مقصورة على شريعة محدودة لغتنا فى محتمات العربية وهى لقادة على لقراءة وكتابة ولأن نسبة الأمية كانت تزيد بالتأكد على ٩٥ ٪ من لشعوب العربية حتى زمن قريب، لم تكن حالة الانصام اللقوى تشكل ظاهرة تمنع المنع ككل. أما اليوم وبفضل انتشار التعليم فقد أصبحت نسبة مستخدمى المصحى لا تقل عن ٥٠ ٪ من أساء الشعب العربى. وهذا تغير حدى لا يمكن هماله. فالقوى الحيوية

بشعوب العربية هي تلك المثاب لتعلمه لقادرة على دفع عملية التطور وهي تلى بعامى معادة حادة مما أسمه شيرزوفرسيا لغوية.

فى الماضى كانت الغالبية لساحمه من أبناء الشعوب لغوية تعيش وتموت دون ان تعرف شيئا عن الفصحى وكنت بسنة لقليلة من علماء الدين أو النعم يكرسون حياتهم لدرس و لتحصيل فلا يمثل حالة لشرزوفرسيا مشكله معاده باساسة لهم فتحول شيرزوفرسيا من وقع بعشته لقله إلى مشكله عمده فى المجتمع هي قصصيه حديثة. ومع زيادة نسبة التعليم المضطربة فى العالم لغوى سوف تتحول مشكله الشيرزوفرسيا إلى أزمة تصف بـ  
رمث العقل العربى فى القرن الحادى والعشرين

وبدل لإسناد العربى لا شعوب جهدا صححا للمزيفين بين تعيين فى عقبه كننا لا لشعر بهد المحمود الدهنى بطر لانت شتات على هد بوضع الشاد وزصعب من الطمولة تلك الارذوخية سعوبة فاعسرتها أمرا مسلها به يتعق مع طبيعة الامور ، بل من المتعلمين من عرب يحبطون فى عقلهم الفصحى وأندارجه وكأيهما لغة وحدة أو وسيلتل للتعبير بينهما تقارب شديد لكن لواقع أن الفارق بين الفصحى واللهجات يكاد يورى لفارق بين لغات محنمة وإن كان لها صل و حد مثل الفرسية والإيطالية والإسبانية على سبيل امثال

\*\*\*

ولو فكرنا قليلا بموضوعية يتضح لنا ان هذا الوضع عبر طبيعى وأنه بكلم العقل العربى رهافا ذهبيا يحط من قدره، كما

يشتت ملكانه الفكرية. ولأن الإنسان كما هو معروف لا يفكر بطريقة مجردة وإنما من خلال كلمات تتشكل في عقله، فإن العربي مهدد بانحصار في التفكير هل يفكر بالفصحى أم بالعامية ؟ وأيا كانت الإجابة فمن المؤكد أن هناك تشويشا في عقله لا يساعده على الوضوح الذهني.

وما يريد الأمر تعقيدا أن العرس الطامح إلى التقدم في العملية التمهيمية وتطويع هدراته يضطر إلى إحادة لغة أجنبية سواء الانجليزية أو الفرنسية. والسبب في ذلك لا يحمي على أحد وهو أن كل العلوم والتخصصات أصبحت تصاغ بإحدى هاتين اللغتين وبالانجليزية بصفة خاصة.

فإذا أراد أي شاب أن يكون طبيباً أو مهندساً أو كيميائياً أو حبيراً في الكمبيوتر أو حتى صحفياً أو مؤرخاً أو جغرافياً فلا بد له من الاطلاع على المصادر الأجنبية في تخصصه ولا يمكنه أن يعتمد على العربية التي تأخرت كثيراً في كل ميادين العلم والمعرفة. وبالتالي فإن العربي المثقف لا بد له أن يجيد ثلاث لغات على أقل تقدير لغة يتحدث بها في حياته اليومية، وأخرى يكتب ويقرأ ويدرس بها، ثم لغة أجنبية تهتم له أبواب العلم والمعرفة الحديثة.

صحيح أن الإنسان العصري المثقف في أي مكان بالعالم عليه أن يعرف أكثر من لغة لأن ذلك يفتح أمامه آفاقاً واسعة ويجعله منفتحاً عقلياً على العالم الخارجي. إلا أن معرفة المطلوب هو معرفة لغة أحسية عنه وليس لغتان متصارعتان في صلب ثقافته الواحدة.

ولكى يدرك أهمية تعلم لغة أحسية يمكنك الرجوع إلى ما كتبه  
 في هذا الشأن شيخ عظيم من شيوخ الإسلام هو الإمام العسقرى  
 محمد عبده وهذا الشيخ الحليل هو قطب من ألمع أقطاب  
 لاستناره في الحقبة الفاصلة بين القرنين التاسع عشر والعشرين  
 على عكس بعض بحار الدين في هذه الأيام من الذين يسدلون  
 جهود لحجب الأمة لعربية والإسلامية إلى الوراء ولشتر فكر  
 تؤدي إلى «حرافات والخرعيات»

يقول محمد عبده في فصل بعنوان «تعلمى بالروسية» في كتاب  
 «الأعمال الكامنة للإمام الشيخ محمد عبده» من بحقيق وتقديم  
 دكتور محمد عماره ما نصه «إن الذى رادنى تعلقا بتعلم لغة  
 أوروبية هو أنى وجدت أنه لا يمكن لأحد أن يدعى له على شيء  
 من العلم يتمكن به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن  
 مصالحها كما ينبغي إلا إذا كان يعرف لغة أوروبية. كيف لا وقد  
 أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوروبيين فى جميع  
 أقطار الأرض، وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل  
 للاستفادة من خيرهم؟ أو للحلاص من شر الشرار منهم؟»

هكذا يحص الشيخ محمد عبده منذ أكثر من مائة سنة الأسباب  
 التى تحمل معرفة لغة أحسية وحاصلة لإحليزيره أو روسيه  
 ضروره لأى إنسان يشد لتطور الشخصى والجمعة العامة

وبعد اللغات وإن كانت له إيجاباته الكثيرة إلا أنه قد يشتت  
 الإنسان عن صلب المعرفة حاصلة عندما يضطر إلى تعلم لغتين  
 لمدارسه حياته العادية كما هو الحال بالنسبة لنا نحن العرب

وإذ فسارت هذا الوضع بالمواطن الأمريكي مثلاً نجد أنه من الممكّر أن يكتفى بلغة واحدة ليصل إلى ما يريد. فاللغة التي يتحدث بها ليسترى حاجته من السوق هي نفسها اللغة التي درس بها والتي يشاهد بها بثرات الأخبار بالتلفزيون وهي أيضاً التي يحتاجها في كل المراجع الهامة في تخصصه، أيا كان هذا التخصص. وكذلك الحال إلى حد بعيد بالنسبة للمريسي أو الألماني

وقد يمتن البعض بأن مشكلة الإدراج اللغوي موجودة في الانجليزية و لمريسية وكافة اللغات الأخرى. فالماس في الشارع وخاصة الشباب يتحدثون لغة يختلف عن لغة التدريس هي خامت أكسفورد والمريوي. لكن هذه معاملة فاضحة هدفها تبرير حالة الشيروفرينا التي يعيشها كعرب، وتمييع لمشكلة وكأن كل شعوب العالم تعاني منها

أما الواقع فهو أن لغة المحاطب الدارجة في هذه البلاد تختلف عن اللغة الراقية بقدر ما تختلف لغة شباب اليوم في مصر عن اللغة العمية التي يتحدث بها أفراد الأسرة في المنزل أو المواطنون في الوزارات وأماكن العمل وهناك مفردات يستعملها الشباب لا يفهمها الكبار وتبتعد لغتهم إلى حد ما عن اللغة العمية المستخدمة في المدن المصرية لكبرى مد عشرين أو ثلاثين عاماً

والأقرب للمطلق أن نقارن ما هو قابل للمقارنة، لا أن نقارن أي شيء بأي شيء لكن ثبت ما نحن راعبين في إثباته. ولأخذ مثلاً بسيطاً يهدد للدين بموتون بأن مشكلة الانقصام اللغوي موجودة في

نعلم كله مثله هي موجوده في لعالم العربى. هذا ذهب قريسي  
مثلا الى أحد لبحال وطلب من لبائع شراء حاجيته واستخدم فى  
ذلك لغة لتي تكتب بها صحيفه لومود أو حتى لتي يُدرس بها فى  
السوربون، وإن انساع لى يرى فى ذلك أبة غرابه. وسيفهم هذا لبائع  
أب كسب درجه ثقافته كل كلمه بقولها المشتري كل ما فى الأمر أن  
سباع سيدرت أنه أمام رجل على قدر عدل من تعليم والثقافه.

أما إذا ذهب مواعلى فى مصر أو فى اليمن أو المغرب وتوجه إلى  
لبائع قسلا حريف «أعطني يا بنى رغيضا من الخبز، وزد عليه  
قطعة من الرجب»، فسكون أضحوكة كل من يسمعه وربما لا يفهم  
البائع ما أراد أصلا.

ههناك يد فى هذه الحالة ثلاث لغات على الأقل يستخدمها انسان  
فى كل سد عربى. اللغة العاميه المستخدمة فى الحياه اليوميه ولغة  
مستحدثة وخاصة فى أوساط الشيب. ولغة لمصغى. وحتى هذه  
الأسيرة يمكن تقسيمها إلى لغة الصحافه والإعلام لسهلة نسبيا ثم  
لغة الكتب وللمتخصصين التى لا زالت تسمى بالقديم

\*\*\*

ومن يريد للاحول فى مصصيات أكثر تعقيدا فإن يمكن بعض  
ساطو فى العالم العربى لهم أيضا لهجات خاصة وأحيانا لغات  
خاصة فالصغيدى مثلا فى مصر يتحدث اللهجة لسائدة فى  
جوب مصر ويفهم العاميه القاهرية والحلبى فى سوريا يتحدث  
لهجة تختلف عن الدمشقى وهكذا

لكن هذه الظاهرة موجودة هي غالبية بلاد العالم، فهناك في  
عربنا لغات خاصة مثل السروفسال و تاساك لا يفهمها إلا سكان  
هذه المناطق. ومع ذلك فإن كل العربيين يفهمون لغة أهل منطقة  
باريس ويتحدثون بها فيما بينهم. وكل هذا يختلف اختلافا جديداً  
عن المارق بين المصحى واللهجات هي تعلم العربي

\*\*\*

ونطرح الشيروغريسيا لعوية التي يعانى منها العرب سؤالاً صعباً  
على نفس لكنه حدير بطرح حتى وإن كنا مقتنعين بأن إجابة  
بالص. وهو هل تصبح اللغة العربية المصحى مثل اللاتينية ؟ أى  
لغة تفرح لغات أخرى من باطنها لكنها لا تستخدم هي جد دانتها  
وتتحول إلى لغة ميتة ؟

وهي كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» يحذر الدكتور طه حسين  
بشدة من هذا الاحتمال حيث يقول في الفصل ٣٧ من طبعة دار  
المعارف بمبادرة عام ١٩٩٦ «وأنا نذير للذين يقاومون هذا  
الإصلاح بخطر منكر (-) وهو أن اللغة العربية المصحى إذا لم  
تزل علومها بالإصلاح صانعة. سواء أردنا أم لم نرد. إلى أن تصبح  
لغة دينية ليس غير، يحسنها أو لا يحسنها رجال الدين وحدهم  
ويعجز عن فهمها ودوقها فضلاً عن اصطناعها واستعمالها غير  
هؤلاء السادة من الناس».

وهي الواقع أن هذا من وضع هذا الكتاب هو مفادى ما يدبر به  
عميد الأدب العربي الذى أبصر ما لا يراه المبصرون بأعينهم  
وصدق برار قباني في رثائه عندما أكد هذا المعنى قتيلاً .

إرم بطايرك ما اند أعين إرمها مخرجوقه العمان

\*\*\*

وللاتينية كانت أهم لغات العالم في عصر من العصور وتصور أهلها ن العالم سيطر يتحدث بها إلى اند الأبدن، وكانوا يطلقون على روما اسم «المدينة الحالدة»، لكن حخاقل الفبائل لقديمة من شرق وشمال أوروبا والتي احتاحت أراضى الأمبراطورية الرومانية العربية لم تقص على بقود روما القديمة فحسب، فعد بصعة قرون لم يعد للاتينية وجود وظهرت لغات هي مزيج بين هذه اللغة ولغات التي كانت تتحدث بها المبائل مثل الفرنجة و لقود والمندل وغيرهم وتبلورت هي بطة شديد اللغات التي يعرفها اليوم مثل الفرنسية والإيطالية والإسبانية وغيرها.

ومع ذلك فإنه لا تحمى على أى إنسان الفروق الجوهرية بين العربية و للاتينية. فالعربية برل بها القرآن وكانت لغة تراث عظيم لا يقدر أى عاقل أن يصبح هباء لأى سبب من الأسباب لكن وقع لحياة كثير ما يكون أقوى من إرادة الإنسان خاصة إن لم يعمل لإنسان على تحقيق إرادته بعزيمة صلبة وعمل دؤوب. ولو قال أنصار محمد صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة لمعصهم البعض: «لا نحشمو شيئا بهذا دين الله، وهو قادر على حمايته»، ثم توقفوا عن أى جهود لبشر الدعوة ووقفوا موقفًا سلبيًا، فإله وحده يعلم ما كان سيحدث لدينا

اليوم أيضا، علينا ألا نكتفى بالقول بأن العربية هي لغة القرنين وبنسالى فلا يمكن أن تمنس وسيظل العرب يتحدثون بها إلى الأبد.



فهذا لا يكفى، وبما علينا أن نعمل جاهدين على تطويرها حتى  
تلائم احتياجاتنا وتظل لغتنا التى تصاحرها الآخرين

وكما قلت فى المقدمة فإن اللهجات كانت موحودة منذ ظهور اسمة  
العربية فى الحرية وعدم انتصرت لغة قریش بمصل برول القرآن  
الكریم بها ازوت اللغات و لهجات الأخرى كلفة أدب وكتبة، لكنها  
طلت متواجدة بصورة أو بأخرى فى اللغات المستخدمة فى الكلام

وأهم ما يجب أن نعرفه أن لغة عربية الراقية التى برل بها  
القرآن وكتبت بها روائع الأدب العربى الكلاسيكى لم تستخدم كما  
هى كلفة للكلام فى أى عصر من العصور. فعلى فى زمن الرسول  
ﷺ كان عامة الناس يتحدثون لغة تعتبر فيها اللغة الراقية  
باللهجات المسيطرة على اللسان العربى.

وكلما تبعنا رتبنا عن اللحظة الماصلة وهى برول القرآن كلها  
ابتعد الناس عن المصححى لحساب اللهجات فى كل مكان بالعالم  
العربى أى أن الناس فى العصر الإسلامى بالجزيرة العربية كانوا  
يتحدثون لغة أقرب إلى المصححى منهم فى العصر الأموى وكانوا  
أقرب إلى المصححى فى الأموى من العباسى وهكذا إلى يومنا هذا  
الذى أصبحت فيه المحوة واسعة بالمدى الذى يلعبه أى مراقب لا  
تحركه المواظف وحدها

واللغات للاستاء أن اللهجات قد انتصرت كلمة للعامل اليومى  
حتى فى مكة المكرمة وهى مهد الرسول ﷺ ومبع اللغة العربيه  
ويؤرة المصاحفة والنياز

وحيثما يسؤل يقصر تقائبا إلى يدهن لماذا هجر الإسبا  
حزى في كل زمان ومكان لعربييه القصصى وحا إلى لغة أخرى  
سفر انيوى والإعزاب عما في صدره لما لا يذهب لعاشق إلى  
محبوبه ويقول لها حرفى «أنا هائم فى عرامك» أو «وجهك  
صبوح يهز كيانى» ولو قال لها مثل هذه عبارات، فالأرجح أن  
علاقة بينهما ستنتهى بهذا العزل بطبع فلماذا يوصل ذلك  
عاشق عبارات عزل مستفيدة من اللهجة الدارجة إلى تعبر فصل  
غير عما فى نفسه ؟

من الممكن أن نجد عبارات فلسفية وفسفية عميقة بذلك  
بكى ترى سببا يسيطا يقصر إلى لغز على لغز بى قصصى  
بشكلها الحالى - فمع لغة صاحبة اللعاش ليومى بظن  
صعوبتها وتعقيداتها.

\*\*\*

وكان لا تشترى العربية حذرج الحزيرة مع الفتح الإسلامى نذر  
حاشية على لغتها ومع فخرى لعربى فى كل اتجاه شمالا وشرقا  
وضربا بعد وفاة الرسول وجهب العربية صلبة فاصية إلى كل الألعاب  
بى كانت مبدولة فى المنطقة وأهمها لأراميه وهى لغة المسيح  
عنه لسلام والقبطية وهى لغة أهل مصر قبل الفتح وإلى اليوم  
فمن الصعب أن نحسب عن لسؤال الآتى لماذا سيطرت العربية على  
سائر الناس فى الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا لكنها لم  
تسطع «قلاع لغات مثل المارسية والتركية ولغات شعوب أخرى  
كثيرة فى اسيا ؟

وهناك نظريتان أساسيتان هي هذه القضية، تقول الأولى إن العربية ارتبطت بالتعريب أي بالنقل العاصر لغوية العربية وامتزاجها بالشعوب المصوغة وبطبيعة الحال فقد كانت الهجرة العربية إلى بلاد الأفرب جغرافية لذلك فقد نظرت إلى خريطة العالم الإسلامي اليوم بحد نواه أساسية هي العالم العربي، تحيط بها بقعة أكبر كبر هي العالم الإسلامي لكن هذا العمل لم يكن حاسماً نظراً لأن عدد العرب الذين خرجوا من الجزيرة لم يتبع والإقامة في الأمصار لا يتجاوز ٣٠٠ ألف شخص وفقاً لموسوعة «بوسرسايس». وهذا الرقم يقرى كما تقول الموسوعة لكنه ليس بعيد جد عن الواقع ولا شك أن هؤلاء قد تاهو وسط عشرات الملايين من سكان الأقطار المفتوحة.

أما النظرية الثانية فتقوم على أساس لغوي بحث فهي تقول إن العربية انتصرت في البلاد التي كانت تتحدث لغات سامية-حامية وهي نفس الأسره اللغوية العربية فأسساعت شعوب هذه البلاد مثل مصر والشام اللغة الواحدة مع المنع لأن لها نفس حدود اللغة التي يستخدمونها

وربما لعبت عوامل كثيرة دور في انتصار العربية على لغات بلاد المفتوحة لكن المهم في هذا البحث هو أن المصحح لم تنجح في فرض نفسها كقوة تعامل وانتشرت اللهجات وفقاً للعادات اللغوية في كل بقعة من بقاع العالم العربي.

وقد أطلق الحاحط على اللهجات الجديدة بعبر «لغة المولدين والمولدين». والمولدون هم الأنساء المحلطون أى «لدين لهم أم أو أب غير عربى وكان عائلته المولدين من أب عربى وأم «أعجمية» أى غير عربية. ويبدو أن العرب قد نهروا بالفتنات الأخفريات من فارس ومن بلاد الروم حيث كانت هناك لغتيت وحاصة الروميت مهن. تتميزن بالشعور والعسور الملوثة وهو ما لم يشهده غالية العرب من قبل. ومع طول مدة الفتح والحروب كثر الزواج من غير العربيات أو اتحاد جدرسات تلدن الأبناء وقد لعب المولدون دورا هاما فى تاريخ الأمة العربيه الإسلامية وحاصة فى العصر لعديسى لكن دورهم فى تطوير أو «نشويه» العربيه لم يدرس بما فيه الكفاية إلى اليوم.

ومع الوقت أصبح اللحن و لحنأ فى اللغة العربيه هما القاعدة بالنسبة لعامة الناس ويروى ابن قتيمة أن أعرايا دخل بسوق فسمع الناس يحطئون فى العربسة ويلحسون فقال سبحان الله لا يلحنون ويريحون، ونحن لا نلحن ولا نريح :-

ويؤكد أحمد أمين فى صحفى الإسلام أن اللحن كان فاشيا حتى فى العلماء. فقد لحن كما يقول مستبدا إلى البيان والتبيين و لعقد لمريد وطهبت الأدباء كل من الإمام أبى حنيفة وعمر بن عبيد وشعر الميسى. وإذا كان هؤلاء العلماء الأجلاء عاجزين عن التحدث بنفقه عربيه سليمة مائة فى المائة فما بالنا بعامة الناس فى عصرهم وما بالنا بعامة الناس فى عصرنا الحالى، الذى لم يعد فيه الإنسان قادر، على ملاحقة إيقاع الحياه وكم المعلومات التى

يصطبر إلى استيعابها في كل لحظة حتى يستطيع الالتفات إلى سلامة اللغة التي يطق بها.

ومن أبرز الأمثلة التي تصرب في فساد اللغة كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لآل إياس. وهو بالفعل يستخدم لغة ركيكة في نظر كتاب التاريخ لمكري و لأديب حيث يستخدم كلمات وتراكيب عامية فيقول مثلاً واصفاً أحد الأمراء «وأما عسكره فكوا جيمائين العين، بمهم قدرة، وعندهم عماشة في أنفسهم».

وياحتصار وحتى في العصور الذهبية للدولة الإسلامية كان الناس يحطون في العربية عندما يحدثون بها كما يحطى فيها العرب في القرن الحادي والعشرين. وكانوا يؤثرون عليها اللهجات التي سيطرت على اللسان العربي تماماً مع الاعتماد الرمزي عن عصر النبوة وبرول القرآن

\*\*\*

وكان من الطبيعي أن تؤدي حالة الشيزوفرينيا اللغوية إلى إشاعة حالة من القلق بين المثقفين المصريين والعرب وخاصة في العصر الحديث وكان من الطبيعي أن يكتبوا على التمكير في وسائل الخروج من هذه الحالة الشادة. وقد أدى ذلك إلى مجموعة من الاقتراحات والاجتهادات للعديد من عمالقة الفكر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين

ومن أخطر هذه المقترحات التي أقول بوصوح إننى لا أوافق عليها هي هجر المصحى بالكامل واستخدام اللهجات كلغة تعامل رسمية في الدول الناطقة بالعربية

وقد بدأت فكرة تنسيق العامية تأخذ طريقها إلى العقل العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبطرا لرفض العربي هطريا لهده المكرة لأسباب دبية مفهومة. فقد كان أول من طرح المكرة من المستشرقين وظهرت كتب تروج لاستخدام العامية بدلة عن الفصحى منها دفعوعد النعة، العربية العامية في مصر، المستشرق الألماني هلم سبيتا عام ١٨٨٠ وه العربية، المحلية في مصر، لبلنجلزى سلوين ولور عام ١٩٠١

وهى عام ١٨٩٣ نشر الإنجليزي وليام ونكوكس بمجلة الأزهر (ولا أدري إن كان لها علاقة بالأزهر الشريف)، مقالا بعنوان «لم لم نوجد قوة الاحترار لدى المصريين إلى الآن؟» يدعو فيها إلى بند الفصحى واللجوء إلى العامية لتحريير الطبقات الإيداعية عن المصريين. وقام ونكوكس عام ١٩٢٥ بترجمة الإنجيل إلى العامية المصرية تأكيداً لرايه فى أهمية لجوء إلى اللهجة لدرحة وبند الفصحى.

وأكد أسمع من يصول إن رأى هؤلاء المستشرقين دليل على يطلان الدعوه إلى تنسيق الفصحى. هؤلاء أعداء الإسلام وعرب ولا يدحرون وسعد لتقويض أركان دينا وثقافتنا، فكيف نسمع إلى من يصمرون لب الحقد والكراهة .

ولو افترضنا صحة هذا الكلام، فإنه لا يسع مع ذلك أن بأحد آراء الأحناف والمستشرقين باستحسان مجرد لشك فى مقاصدهم هؤلاء المستشرقون لا يحدثون من فراع وإما من منطق إعراض

كل الشعوب العربية بلا استثناء واحد عن استعبد المصحح كلمة  
للمعامل فيما بينهم. وعلمنا أن نرد على حججهم بقوة المنطق والعقل  
وليس بالعواطف وقبحه الاتهامات.

هناك بعض من فطاحل الفكر العربي تبنوا هم لأحرون أفكارا  
مشابهة وكان أستاذ الحبل أحمد لطفي السيد من أوائل المنصرين  
الذين روجوا لفكره استخدام العمدة وإن كان قد أعد النظر في  
موقفه وتحلى عن هذه الدعوة فيما بعد. كما كان مشروع عبد  
العزيز فهمي الذي دعا من بين ما دعا إلى استعبد الحروف  
للاتينية لغة العربية قد أثار موجة اعتراض عارمة من قبل كافة  
العلماء

وفي لندن تحمس لهذه الفكرة سعيد عمل وأيس فريجة وكان  
قاسم أمين وطه حسين وأحمد أمين وأمين الحولي من بين أشد  
الدعوى إلى تبني اللغة العربية وبسبب فواعدها وكل هؤلاء لا  
يشك في حسن نواياهم بحاه لغتنا وتراثنا

ومن أشهر من دعوا إلى تبني لغامية بديلا عن المصحح بحجج  
عظيمة صدمت لكثيرين كان سلامة موسى وقد ساند أيضا  
سنجد الحروف اللاتينية وأعبر ذلك «وثقة نحو المستقل».

ويقول سلامة موسى عن المصحح «ورثناها من بدو والجاهلية  
في عصر الناقة. ويراد لنا أن نتعامل بها في عصر الطائرة».

وهي رأي أن سلامة موسى قد انطلق من فرضية صحيحة وهي  
أن اللغة العربية كما ورثناها لم تعد تلائم العصر لكن النتيجة لدى

استخلصها من هذه الفرصية الصحيحة جاءت حاطة. فهو يستخرج من عدم موافقة اللغة متطلبات العصر أن يستبدلها بأخرى هي العامية لكن النتيجة الأكثر منطقية هي أنه أصبح من الضروري تطوير لغة بحيث تناسب أسلوب تفكير واحتياجات إنسان القرن الحادي والعشرين.

و يوسيه أوحيدة لذلك هو الإسراع بالاتفاق على سن تطوير اللغة بإزاره عربية مشتركة ولن يتأتى ذلك إلا بوعي المثقفين و نقائهم على أمور الثقافة في العالم العربي بأن نصصحي أصبحت مهددة فعلا وأنه بعد عدة أجيال قد لا نجد من يعرف لغة سيبويه. لا قلة من لد رسين والمنحصرين فالعامية بعد عن أحياء ذات إنسان العربي لتماهم 'فصل من فصحي ولها' هجر لغة لصعبة إلى الأسلوب لاسهل في التعامل

و لاتجاه الغالب لتبذل قضية السيزوفريديا العويبة العربية هي قبولها كما هي وكأنها قدر مكتوب علينا ولا فكاك منه هي تستقبل لكن لعقل محتم علينا مراعاة هذا الموقف لبراحماتي استسلم للواقع.

من المؤكد أنه ستكون هناك دائما فجوة بين لغة الكلام اليومية و لغة الكتابة وهي حقيقة موجودة في كل بلاد العالم لكن وحيثا تحده الأجيال القادمة هو تصيبق هذه الصجوة بأكثر قدر ممكن من الواضح أن هذا هو الاتجاه لدى فرصته طبيعة الأمور وخاصة منذ ظهور الصحافة في العالم العربي



وكما قلت فإن ما يعرف بالاعراف بهذا التطور الطبيعي هو  
الربط المصطنع بين اللغة والدين ونحو ذلك البعس بأن المساس  
بالغة هو مساس بالدين ته وهو كلام بعيد حد عن الحقيقة كما  
حاولت أن أثبت في هذا الكتاب

\*\*\*

وقد لعبت الصحافة دور محوريا في إيجاد لغة مبسطة تفهمها  
شرائح متعددة من أبناء الشعب العربي ويجمع لكثير من المثقفين  
ومحبي العربية أن الصحافة عنحت السب أمام نحن الأمثل لمشكلة  
لشيروهرسيا لى تواجه كل عربى قادر على القراءة و الكتابة  
وإن كانت جهود الصحافة في تبسيط اللغة لم تسهم من تقدم  
بعض فصاحين الفكر العربى وقد عسر جاهد ابراهيم عن هذا  
الرأى عندما قال:

أرى كل يوم بالحوادث مرلها من الغبر يدسبى بعمر اناه  
وعلى ثرعم من وجهة نظر شاعر ليس، إلا أن التقريب بين  
المصحى واللهجات هي تسهيل لوحيد لإيجاد تطوير مظمى  
ومقبول من جميع لغة الصاد

وأي كان موقف من هذا الوضع العوى في حالة الشيروهرسيا  
التي يعيشها معرقة للتقدم ومعطلة لطافات لعقل العربى. والعرب  
هي هذا الحال هم حالة لعوى فريسة ووحيدة هي عاتم ليوم. هذا  
كان لا بد أن يتمرد بشيء، فالأفص أن تنفرد بما هو باع ومتعبر  
وليس بما هو ضار ومفرق.

\*\*\*

## غاية اللغة

الأصل في اللغة هي وسيلة للتعبير عن النفس وتماهم مع الآخرين وهذا نظريات متنافسة حول نشأة اللغة هي الأطوار الأولى من الإنساني يختلف حولها العلماء. لكن ما لا خلاف عليه هو أن الإنسان في مراحل تطوره الأولى يستخدم أصوات يرمز بها إلى مفرد حتى يفهمه الآخرون وأن الحاجة إلى تماهم هي التي وجدت الكلام وضمت الغاية من نفعه هي مختلف لحصارت هي تنويع الاتصال بين أبناء البشرية

لكنه من الواضح أن المجتمعات العربية تشد عن هذه القاعدة فاللغة عندها هي غاية تُشَد في حد ذاتها هي تستخدم بالطبع لتماهم والتعامل لكن لها عندها هدف آخر يتميز به عن غيرها. فالعربي يطرب ويستشي من لكلمات سواء هي الشعر أو هي النثر من جهة جمعت استخدام التعبير وتراكيب جديدة عليه غاية غرض في أهميتها العامة الأساسية من اللغة

وهى قصور الخلفاء والأمراء كان لشعراء والعلماء يتعاصمون لاستخراج كلمات ومعان مبتدعة ويتفننون فى النعب بالألفاظ من أجل إرضاء القادرين على منح إعطابا. وكان الخلفاء وأولى الأمر يصلون إلى درجة من الانثناء باللمة تجعلهم يفتقون على الشعراء بأموال تفوق ما يصرف فى أهداف أخرى مفيدة للمجتمع. وكان ترخرف والتربيب الكلامى وإيقاع الألفاظ ورنبيها وطبيها هى حيثيات البلاعة التى يتيه بها العربى

العربى عاشق لغة ومتيم بها لذتها وليس بالجرد نقل المعلومات والتماهم مع الآخرين ونستخلص من هذا أن مفهوم اللمة لدى العرب يختلف عنه فى الحضارات الأخرى فهى وسيلة بالنسبة للأحرار وهى عاية بالنسبة لما ثم وسيلة بالدرجة الثانية.

ومنذ بداية القرن العشرين بدأ العلماء يدركون أن اللغة تؤثر فى عقل المجتمعات وهى سلوكيات الأفراد. وتعتبر نظرية «سايبير - وورف» أول دراسة تربط بصورة مباشرة بين اللغة وتشكيل عقل الإنسان. وظهرت بعد ذلك دراسات كثيرة لم تصل بعد إلى مستوى مطمئن تمام. لكنها تدل كلها على أن هناك صفات عامة للمجتمعات تتصل بقالب اللغة وتركيبها وروحها. واللمة تعبر بصدق عن المجتمع لكنها تؤثر فيه بالتأثير من حين إلى حين. فالعلاقة بين العقل واللمة هى علاقة تبادلية. فاللمة تمر عن روح المجتمع بنفس القدر الذى تؤثر فيه

وإذا أخذنا الإنجليزى مثلا يتضح لنا كم أنها تعكس الروح لعملية التى تميز الأمريكبين والإنجليز وسهولة الحياة وعباب

التعقيد في ثقافتهم ، ولألمدية مرة للدقة و لانبساط وهم أحرر سمات لشعب الأمازي عبر تاريخه أما المرسية فهي تتصف بالوضوح والسلاسة. وقد أفررت هذه الثقافة وهذه اللغة بمكر ديكارتي العقلاني لقائم على منطق محكم وواضح للعالم

ومند نحو "لما ومائتي عام سبه رجل ذو بصيرة نافذة، هو الحاحل لهذه المروق بإحدى رسائله هي "البيان والتبيين" فمول، "إن الحكمة وقعت على ثلاث، عقل الإفريج ، وايدى أهل الصين، ولسان العرب".

وهي كتاب "تاريخ العرب" بفرر سببه حتى هذه لمكرة حيث فمول والعرب ثم يبدعوا او ينشئوا فتاً عظيماً خاصاً بهم من "لمنون المعروفة، ولكنهم عبروا عن القريرة الفنية بصورة واحدة هي، "الكلام. فإن فآخر الإضريقي بما عنده من تماثيل الفن ومنشآت هندسة البيت" فالعربي يرى قصيدته أفضل ما يعبر عن حلجاته الداخلية.

ويسو أننا فبعنا بهذه انقسمة الحائره حتى تجعل برعن في الكلام وليس هي "مور العقل والمدره على العمل

\*\*\*

وأذا كانت لغة العرب دورا حاسم في وحدان كل شعوب العالم، فإن أثر اللغة على المجتمع العربي أكبر كثيرا من أي بكتل ثقافي حر فاللغة بالسية للعربي هي التي برل بها ففرون وهي لغة الأحاديث لشريفة وهي لغة التراث الأدبي العظيم الذي تركته لنا أجيال

متمدقة من المد عين في كل مجال من «مريء القيعر» إلى نجيب محفوظ و«وق كل هد فهي كما قلنا بمثابة عاية تشدد لحد دتها

\*\*\*

ويسعى في هذا المص لاستعراض أبرز لأثر الناتجة عن اللغة والمؤثرة هي بعمل العربي. ومن السداحة أن تصور أن لغة تشكل العقل بطريقة لية وأن كل سمات لعقل المري لتي سطرحتها في هد لفص هي شعة للغة وحدها ههنا بالتاكيد عو مل أخرى ثقافية وقنصادية وتاريخية وبيئية وغير ذلك أثرب هي تكوين العقل العربي لكن لمة الصاء تلعب دور هائلا في تشكيل هذا العقل، وهي كالجليات التي تؤهل الإنسان لصفات معينة ثم تتعامل مع ظروف الطبيعة والحدة لنخلق شخصية لمرء. فاللغة تحدد صلامح اتجاهات الشخصية العامة لكنها تنعكس بعد هد بطريقة ممرده عى كل شخص.

وكما أن «المكر القلى» و«ثقافة الأدن» و«حصارة اليقين» كانت كلها في البداية عناصر أجبانية هي عصور أردهو ل«حصارة العربية الإسلامية» ثم انقبت إلى عو مل ملية مع مرور الزمن، كما أثبت في كتاب «لءاء العربي»، فإن للغة يطبق عليها هي لأخرى نفس التحليل

فقد لعبت لعرية دورا حاسما في إطلاق العقل العربي من حلال النص المؤسس ل«حصارة» لعرب وهو القرب الكريم. وحادت بعد ذلك الإبداعات الشعرية والنثرية في العصر الإسلامي ثم الأموى فالعاسى.

وكانت لغتنا الحميمة تعنيهم هي رقي المشاعر وسمو لغوي  
وقسامد على لاستمتاع بكل مدات حياة الروحانية والحسية ولا  
شك أن اللغة كانت ركنا من أهم أركان الحياة في قصور الحلفاء  
والأمراء وعصر من عصر الارتقاء وشموع العنسي وكتاب  
الأضاني يدل على مكانة اللغة في الحياء العربية في عصور  
لأزدهار ومع تطور الزمن ورفض العرب أي تطوير للغتهم يوم  
مع لتقدم لطبيعي للمجتمعات أحدث اللغة تحول شريحي إلى  
حامل من عوام لجمهور لمعوقه للتقدم.

\*\*\*

ومن أبرز الانعكاسات السلبية للغة حيوج العقل العربي إلى  
لاهتمام بالشكل على حساب الجوهر وقد تنبه أمتي لهذا لعب  
لحظير عدد أكثر من ألف عام بمصر بصيرته الباقية وكأنه  
يستشرف افاق المستقبل ولا يكتفى برصد حاضره وقد شاع قوله  
في الشطر لثاني لأحد أبيات قصيده يهجو فيها كافور «يا أمة  
ضحكت من جهلها الأمم».

لكن الشطر الأول من هذا البيت بالغ كثير في رأيي وكثير دلالة  
على اختيار العقرو العربي إلى المطهر على حساب الجوهر، ويقول  
فيه المتن «أغاية الدين أن تحفوا شواريكم؟».

فقد لاحظ أبو الطيب أن الناس في عصره يلتزمون بإحصاء  
شواريكهم وإطلاق لحاهم وهي منه معروفة، ثم بعد ذلك يفعلون ما  
نشأون مما يناقض مع جوهر الدين ويدهي تعاليمه الأساسية

ومر هذه الملاحظة طرح سؤاله العبقري هل العلية من الدين الذي نزل للإنسان هي الأرض هو المظهر الذي سدو عليه الإنسان أم هو الجوهر الكامن في قلبه ويترجم بمواقفه من الآخرين ؟

وكان المتنبي يعيش بينا الآن ويرى العصر يحتزل ديننا العظيم في بعض المظاهر عصر الجوهريه وكأنها لب الدين وأساسه الركن يرى البعض يحتزل الدين الإسلامي في الحجاب بالنسبة للمرأة والحية بالنسبة للرجل. أما أن يلتزم الناس بالأمانة في المعاملة والسد عن المخشأ وعن الرشوة والسرقة، أما عن مساعدة المحتاج وأداء العمل بضمير متيقظ والسعي لخدمة الناس وإسعادهم، فكل هذه أمور ثانوية في نظرهم ولا ترقى إلى مستوى المظاهر

وهذا عقولة أن العربي يهتم بالكلمات أكثر من المعاني وبالمعنى أكثر من الأفعال و لأمثال الشعبية تعكس هذا النزوع إلى تفصيل الشكل مثل «لا قبلي ولا تغديني» و «لبس البوصة تبقى عروسة» و«النصيت ولا العى» وهذه الأمثال، وإن كان فيها الكثير من الحكمة إلا أنها ترمز بوضوح إلى العقيدة العربية التي تولى الشكل أهمية قصوى.



الخاصية الأخرى التي وضحة في العقل العربي والتي تنعكس في اللغة ثم تعود فتؤثر على الإنسان العربي هي التفرعه إلى المبالغة وبلاحظ أن البلاغة والمبالغة متشققان من نفس المصدر، مما يعطى «طبعاً» بأن المبالغة هي جزء لا يتجزأ من البلاغة، التي تعد من أنص المزايا وأقيمها عند العرب. ويحكم تركيبها فإن اللغة العربية

تسوق المتحدث أو الكاتب وتدفعه دفعا إلى أن يصحح المعنى ويسعى إلى تصحيحه والصح فيه حتى يؤثر على سامعه.

وإطلاق اسم لغة الصاد على العرصة لم يأت من قبيل الصدفة، لكنه يعكس هذه البرعة، حيث أن العرصة هي لغة الوحيدة في العالم التي تحوى حرف الصاد وهذا الحرف هو تضخيم وتصحيح لحرف الدال الذي تكتفى به كل لغات العالم الأخرى.

ولا تكاد قصيدة أو عمل بداعي عربي منذ العصر الجاهلي يحلو من المسألة والتهويل، ولعل من أشهر الأمثلة التي وصلت لمملكة الجاهلية إلى حد الكاريكاتير هو بيت عمرو بن كلثوم في مصقته الشهيرة التي مطلعها:

ألا هس بصدق فاصحبا      ولا سعى حمور الزندريا  
ويقول البيت :

إذا بلع العظام لما يرضع      بحر له الجبار ساجدا  
ويروى في بعض المصادر «إذا بلع العظام لما صسى».

وهناك أبيات في هذه القصيدة لمعلقة تثير الضحك فعلا فهو يقول مثلاً:

سلأنا البحر حتى صان عسا      وبحر البحر يملؤه سعيبا

أما نحن فنعرف أن العرب لم يملأوا واحداً في المسألة من أرض الحرية العربية، كما لم يعرف لهم أية أساطيل صغيرة أو كبيرة مما نالنا أن نصيب بهم الأرض وأن يكون لهم أسطول يملأ البحر سمياً



وظلت المسالمة صمة متوارثة من حيل إلى حيل وكأها سمة  
لاصقة بالعقل العربي ومربطة بالأسلوب ولله وبالمصاحبة دنها.  
وشتهرب العتريات التي رتمعت بالتهجيم والتهويش إلى أعلى ما  
يمكن أن يصل إليه أسلوب لعوى.

ولتأمن النص الذي يورده «س فتية في عيون الأحبار»  
في «باب لحرب» «كان لأبي حية التميرى سيف ليس بينه وبين  
«الخشبة فرق». وكان يسمى (لعاب المنية) قال جاره: أشرفت  
عليه ليلة وقد انتضاه وشمر وهو يقول: أيها المغتر بنا والمجترى  
علينا، لبئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صليل،  
لعاب المنية الذي سمعت به، مشهور ضريته لا تخاف نبوته..  
أخرج بالعفو عنك والا دخلت بالعقوبة عليك.. إلى والله إن أدع  
قيسا تملأ الأرض خيلا ورجلا.. ياسبحان الله.. ما أكثرها  
وأطيبها.. ثم فتح الباب، فإذا كلب قد خرج. فقال: الحمد لله  
الذي مسحك كلبا. وكفاني حريا،

وهذا النص الذي تصح منه لسحرية مثال كاريكاتيرى للكلمة  
التي تفقد معابها بسبب العتريّة والتهويش ويطلق عليه المثل  
القائل: «لحارة حارة، والميت كلب».

\*\*\*

واستمرت هذه السمة في المسالمة ونقلت عدواها إلى رجال  
السياسة الذين عتادوا على إطلاق التصريحات الدرية التي يسمونها  
سما أنهم غير قادرين على تصيدها.

ولعل أشهر مثال على ذلك هو تصريح أحد القادة الماسطبيين قبل بكسة ١٩٦٧ قل فيه بأننا سلقى إسرائيل فى البحر وقد أضر هذا التصريح بالقصة الماسطبية صررا بالعام. ولم يدرك العالم تذاك أنه مجرد نضاج لثقافة المناقعة ولعة لتهويل، ولم يكن يتم عن نوايا حقيقية بقتل كل الإسرائيليين ولقائهم فى البحر. وقد أحد العالم أجمع وحاصصة العالم لعرى هذا التصريح بمعناه الحرفى نظرا، لأن غالبية ثقافات العالم لا تميل مثليا إلى الإفراط فى المناقعة.

وكان صدام حسين وريثا وعبا لأسلوب التهويل الذى يباثر بركبية اللغة العربية، وبلغ فيه ما لم يسمعه رعيم عربى من قبل ولا من بعد. وقد قال فى تصريح عثرى فى عام ١٩٩٠ أنه فى حالة الاعتداء على العراق فإنه «سيحرق نصف إسرائيل» وقد رأس انهوة السحيفة بن تصريحاب صدام البطولية وأفعاله الماشوشية.

ولا تخلو الصحف العربية من أساليب المناقعة الصحة واللى تعسر فى طر كسابها والعديد من قرئها بلاعة تصل بالعمى إلى أعلى مراتبه. فتجد مقالا يستقد شحصا لأمر غير خطير، فيتحمس كاتبه ويقول إن هلافا يستحق أن يشمق فى ميد ن عام. ومع سياق الكلام «يسعى» الكاتب أكثر هصصيم أنه لا بد وأن يسجل هذا الشخص فى شوارع المدينة وأن تحرق حثته ليكون عبرة لغيره

ويبدو أن العربى برصع مع تعلم اللغة برعة فطرية إلى المناقعة وانوكبد. وقد أحررت دراسة على عصة من الشباب العربى و لعرى فانصح أن لتصريح الذى يعتبره العربى موقضا واصحبا ووكيدا

للمعنى، يعتبر بالسببة للشباب العربي موقفاً حبيداً يحتمل التأويل، ولا يتضمن توكيداً واضحاً.

ولأننى أنتمى قلبها وقالها إلى الثقافة العربية فقد مررت بتجربة مماثلة هي بداية إقامتى بفرنسا عام ١٩٨٠. وقد صدر آذاك تصريح اليمدقية الشهير الذى اعتر موقفاً أوروبيا جديداً وبقية من التأييد الكامل لإسرائيل إلى موقفه يتفهم الحق العربى ويقف إلى جانبه. وصدرت فى فرنسا تصريحات كثيرة فى نفس هذا الاتجاه بل تذهب إلى أبعد مدى فى اتحاب العرب. وكان الدبلوماسيون الفرنسيون الذين ألتقى بهم وكانوا مؤيدين للعرب يبدون سعادتهم أمامى لكى كنت أختلف معهم لأننى أجد هذه التصريحات مائعة وغير قاطعة، وكانت تدور مناقشات حامية بيننا.

ولم أكن أعهم آنذاك أن هناك فجوة فى المفهوم للغوى بينى وبينهم وأن المواقف فى المفهوم الغربى يتم التعبير عنها بأسلوب بعيد عن المبالغة والتوكيد، وهو الأسلوب الذى اعتدنا عليه



ومن العيوب العربية المرتبطة بالمبالغة استعمال الكلمة بإيقاعتها وإيجاءتها المصفاضة بدلاً عن الفعل العائب وقد ذكر القرأى الكريم هذا العيب المستقر فى العقل العربى منذ قديم الأزل حيث يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَنْ تَقْعُونِ ﴾ (سورة نصف ٢).

وقد رصف الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش هذه  
لحصول فقال في قصيدته بعنوان «سرحان يشرب القهوة في  
الكافيتريا»

أقف بعلمك بصرف عن خدك، هل الفعل معص يا  
الصوب؟ أم حركة؟

ويكتب: ص ط. و. ص ع.. ويهرب منها

صخب انزعاج حروف يهربا عن سواها .

طلعا عليهم طنوع إهوى عصاروا هدى وصاروا سدى

سدى تحر. هم يدربون طقولنا . ويصقون اسلحه من  
اساطير ..

اعلامهم لا تعنى وأعراضا يخص الرعد ،

عصعصهم بالخروف السميه ص. ط ص و ع نم  
بحول انصربا

ويبقى عربيا خراخك مطبوعه للالاعاب و ليوحيات  
باسمك تستصر الانحدية..

\*\*\*

وفي كتاب « لعقل العربي » الصادر عام ١٩٧٢، يورد المفكر  
روبنيل بطنى دراسة ميدانية عن الأطفال العرب يتصح منها أن  
١/٨ من الأمهات يعترفن بقسامهن نهديد أطفالهن بالكلمات، ثم لا  
تبعن ذلك بالتمديد وبظنر لما تحتويه لغته من كلمات رسة

وعذرت قصاصته فإن التهديد الكلامي يكون عادة عيما لعناية  
ومعرا بالنسبة للأطفال،

و تلجأ الأمهات إلى الأسلوب لعربي المعوى في التهويل والمبالغه  
بأن يهددن أطفالهن بالضرب وربما بالقتل والحرق وقطع لأيدي  
وغير ذلك، ثم لا يصدن هذا لتوعيد بسبب الرحمة أو لشفقة  
وحبهن لأطفالهن، ولا شك أن التهديد و التوعيد والتخويف هي  
عمليات تعيس تقوم بها أم العربي لكي لا تؤدي طفلها الحبس  
لكن المشكلة أن هذا الأسلوب يترك في نفوس الأطفال آثار لا  
تمحى وترسخ في عقولهم الباطن عادة لكلام الذي يعبر عما هي  
داخل النفس من رعبات كمنه، لكنه لا يعبر عما سوى الإنسان أن  
يقوم به من أعمال (الكلمة بديلا عن الفعل) فالكلام هي واد والواقع  
هي واد آخر.

وهناك مئات من الأمثلة تؤكد من العربي إلى ستموهن لأفعال  
بالكلمات ولشعر لعربي منهن لا ينصب لهذه الأمثلة من مريء لقيس  
إلى يومنا الحالي. فالشعرء الذين يتحدثون عن تفصيله وأفعانهم  
تتافص مع أيسط قو عدها، والشعرء الذين يتحدثون عن لقناعة وهم  
يتكلمون على نجاة، كلهم قد ملأوا سماء الأدب هي القرون الماضية  
ربما كنت أشعارهم الحمينه تشمع لهم المعجوة بين كلماتهم وأفعالهم  
لكن وفيه أشعارهم على لقصمة العربية كن سلب للعدة

وكان حسار بن ثابت شاعر الرسول من الأمثلة لبررة على ما  
يريد أن شفته. فقد كن حسار أفصل من يتحدث عن الحرب

و لقتال والباس، لكنه لم يرفع سعه يوما واحدا في ساحة معركة  
وهي تلك الأيدم لم يكن هناك محاربون ومدنيون في الحريرة  
العربية. هكل من يستطيع حمل السلاح كان مشترك في سؤر عن  
قبيله أو مهاجمة قبيلة أخرى، لكن الرسول كان يعنى حسنا به  
أنه لعلمه بأنه ليس قادر عليه

وتروى صفيه بنت عبد المطلب وهي بنت عم الرسول وقف عزوة  
بحديق في كتاب «الأعاني» وكان حسان معنا مع النساء  
والصبيان، فمر بنا رجل من اليهود (..) وليس بيننا وبينه أحد  
يدافع عنا (..) قالت، فقلت: يا حسان (..) إنزل إليه فاقتله فقال،  
يقفر الله لك يابنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.

فما كان من صفيه إلا أن هوت على رأس اليهودي فعض ففسه  
وكان يهودي قريظة يساندون أعداء النبي خلال عذوه بحسق  
وبسبيون المسلمين الغداء في ذلك الوقت كما هو معروف

في كتاب «للعلاء» أورد التحاظ قصة طريفة سرر بوصوح  
برعة الكلام الذي لا يعبر عن الحقيقة فيحكى التحاظ عن محمد  
بن سمر وهو شاعر بصري أن أحد الولاة يمارس استمع في حد  
الأيام إلى شاعر أحد يمدحه مدحا مصرطا فقال الولي بكسه  
عطه عشرة آلاف درهم فصرح الشاعر فقال لولي فكذب، أحفلها  
عشرين ألفا فنصاعمت فرحة، فثبعر. فقال ولي أحفلها  
ربعين ألفا وهذا الشاعر فرحا وقال للولي ما معناه أنه  
سيصرف حتى لا يعرجه ويرد هذا المبلغ

ولما انصرف الشاعر أمر الوالى كدسه بألا يعطيه شيئا. فلما أبدى السكرتير ستفرانه، قال الوالى مصبرا موقفا إن الشاعر زعم أنه أحسن من لقمر وأشد من الأسد وهكذا . وهو يعلم أن كل هذا غير صحيح، لكنه فرح بهد الكلام الذى لا علاقة له بالواقع وعندما وعد الشاعر بأربعين ألف درهم، هرح الرجل فرحة كبيرة فكما أفرحه الشاعر بالكلام فهو أيضا قد أفرحه بالكلام.

وبذكر هذه القصة بالمثل الذى يقول «كلام ابن عم حديثه»

\*\*\*

ونصح النحوي لثقافية الباحمة عن اللغة فى مماوصات العلم ولتعدرة بين الأطراف العربية والأطراف لأخرى سواء من الشرق أو لمرب والمسألة لا علاقة لها بالترجمة وربما تحدث الجميع نفس اللمة وربما قام المرحمون بواجهم بأمانة يكن دلالة الكلمات تختلف بين الطرفين. فالمربى يكره أن يقول لا وهو يستميص عنها بكلمة ربما عندما لا يريد تميم شيئا وعندما يقول نعم فهو يقصد عدة ربما أو أن الأمر ممكن نصيده

وقد قامت الثقافة العربية فى بداسها على لأذن نظرا لأنها ردهرب فى محتتم تسيطر عليه لأمية (يظر كتاب لاء العربى باب «ثقافة الأذن»).

وكدن من أهم آثار ذلك أن لعض لمربى يصل الحقائق عن طريق لأذن واللقين بالنسبة به هو ما يسمعه، فى حين أن اللقين فى معظم الحضارات لأخرى. هو ما يره الإنسان رأى لعين.

ومنذ اختراع التصوير الموترافى والسينما والنقزيون تقهقر دور الأدب وزاد دور العين هي المعرفة. لكن سحر اللغة العربية والمكانة التي تحظى بها هي ثقافتنا تجعل المجتمعات العربية لا تزال تتمسك باليقين عن طريق الأدب والكلمات، بينما الآخرون يصلون إلى اليقين عن طريق العين والعقل.

وربما يفسر ذلك أن الشائعات تنتشر في مصر والعالم العربي بسرعة أكبر كثيرا من أي مكان آخر في العالم. فالإنسان العربي منذ أن أفل نجم حضارتنا، ميال بفطرته إلى أن يصدق ما يسمعه دون أن يخضعه للتفكير والتدبر. ويكاد الحسن التقدي يكون معدوما في الشائعات العربية منذ قرون طويلة، فالعربي يثق في اللغة وبالتالي يثق فيما ينقل إليه عن طريق هذه اللغة.



ومن أبرز خصائص اللغة العربية حاصية الإبداع في التعبير عن الفكرة بأسلوب غير مباشر. والأسلوب المباشر غير محبب في العربية ويعتبر ضعفا وركاكة في التعبير. ويرغم ما يقال بأن البلاغة في الإيجاز فإن الواقع عكس ذلك على خط مستقيم. فبراعة الشاعر والكاتب تقاس بمقدرته على اللف والدوران حول المعنى والوصول إليه من طرق ملتوية ومعقدة ربما تزيد جمالا في عيون المستمعين.

ومن المؤكد أن هذه الخاصية قد انعكست على العقل العربي وخاصة في القرون الأخيرة حيث يؤثر العربي عدم مواجهة الواقع والالتفاف حول الحقائق بقدر المستطاع خاصة تلك التي تصدم قناعاته



ويظهر ليل المظري لعدم المباشره في أسلوب التعامل اليومي سواء في العمل او في الحياة خاصة. فعادة ما يبدأ العربي بدياحة طوية ومقدمات لا آخر لها قبل أن يدخل في الموضوع لدى يريد الحوص فيه ومع تردد سرعة الإيقاع في مصر ظهر تعبير جديد كبر قبل هذه الظاهرة وهو «هاب من الآخر» أي قل مخترياً تعبر مقدمات



ومن احطرت احصائص النفسية لتي تلعب فيها اللغة دورا لا يستهين به هي علاقة العربي بالرمز. فعمل ظهور الإسلام لم يكن هناك أي تقويم رمزي بالأعوام وكان هم عرب لحريرة الوحيد هي محال الرمز هو معرفة لشهور لأسباب تتعلق بحياتهم لعملية

أما الحصارات الأخرى لتي ظهرت قبل الإسلام فقد عرفت التقويم بالشهور والسنين وقد أصدر يوليوس قيصر مرسوما بالعمل بما عرف بالتقويم الروماني في عام ٤٥ قبل الميلاد أي نحو ٧٠٠ عام قبل أن يشعر العرب بضرورة التقويم بالسنين وقبيل يوليوس قيصر كانت الحصاراة اليوبانية تعرف التقويم بالسنين وبفصل تقويمهم يعرف الآن أن سقر ط ولد عام ٤٧٠ قبل الميلاد ومات عام ٢٩٩ قبل الميلاد وكذلك أفلاطون (٤٢٨ ق.م - ٣٤٨ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ ق.م - ٣٢٠ ق.م).

أما قصي الجد الأكبر للرسول ﷺ وأول من نزل بقريش في مكة هلا يعرف أحد متى ولد ومتى مات ولا حتى بالتقريب، على الرغم

من أهميه الكبرى في تاريخ العرب ونفس الامر بالنسبة لهشام  
التي يتهى إليه الرسول مباشرة حيث يسمى آله بنو هشام ربما  
يعرف بالتصريب أنه عاش في النصف الأول من القرن السادس  
الميلادى والعرب أدب لا نجد من يهتم كثير بمعرفة منى عاش  
هؤلاء ومتى كانت القصص المتواترة عنهم فكتب التراث تحدث  
عنهم وكأنهم ناس من خارج الزمن فالأصل بالنسبة لعربي هو  
كان هلامى تنوه فيه ومن الصعب لتعرفه بين مراحلته.

وعندما ظهر نور الإسلام كان هناك مقومان أساسيان  
لأعوام الأول هو لتقويم السريطى، والثانى هو التقويم العباسى  
في بلاد فارس.

ولم يبدأ تقويم الرمى عند العرب إلا في عام ١٦ بعد الهجرة  
في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وقد حسم الماروق حدلاً حول  
الحدث الذى يبدأ منه التقويم فحمله الهجرة لسنة من مكة إلى  
المدينة

قبل ذلك كان هناك بالنسبة لعربى زمن حاصر وزمن ماضى.  
ولمضى ليس له أى تحديد. وكان التحدد لتقريبى الوحيد هو  
بعض الأحداث الهامة التي وقعت في الجزيرة وعلى رأسها عام  
لميل وهو لدى حول فيه أبرهه عمرو مكة ونحطيم الكعبة المشرفة.  
وكبوا يقولون مثلاً قتل عام الميل أو بعده بقليل. وهكذا

ومن يبحث في تصريف الأعمال بالعربية يكتشف السر في  
علاقته العربى بالزمن فالأعمال العربية مسية على لماضى

والمصارع بالنسبة للتقريب لرمي لكن هناك خلطاً لا حد له بين الاثنين فالمصارع قد تستخدم للمعاصي والمكس صحيح هيقول مثلاً أكلت الآن كداً وأكس هس ماضى. ويقول ولد العروس «زوجك انتى» مع أن «زوجتك» فعل ماضى لكنه يعنى هنا الحاضر والمستقبل كما يقال عدْ بصلّى الجمعة و«بصلّى» فعل مضارع لكن المقصود به هنا «المستقبل».

كما أنه لا يمكن ترتيب الأرملة بوضوح من خلال الأفعال فى المعاصى وتحديد وقوع فعل قتل أو بعد فعل آخر

وبالنسبة لمظلماتنا الدين يعرف العصور لتي عاشوا فيها بدقة فإن العالوية العظمى للعرب تعرفهم إسماء لكنهم لا تهتم بمعرفة الأرملة لتي عاشوا فيها. فكلم مصرى يعرف متى عاش صلاح الدين الأيوبي أو لظاهر بيبرس أو طومان باي أو القريرى؟ من يعرف بالتحديد تاريخ ميلاد أو وفاة سعد زعول أو مصطفى كمال أو طه حسين؟

العالوية السحقة لا تعرف بل لا تهتم أن تعرف، فقياس لرمي بالنسبة لعامة العرب رفاهة لا لزوم لها.

أما فى فرنسا فإن الغالبية تعرف بدقة تاريخ ميلاد ووفاة نابليون وهوجو وغيرهما. ويعرف الألمان متى ولد ومات بسمارت وجوته.

ومن المهم في النهاية أن نرى المباح النفسي والاجتماعي والعائلي  
التي كثر بها عرب الجاهلية في العصر التي نشأت وتطورت  
فيه اللغة العربية بقواعدها ومطوماتها التي تتعامل معها حتى الآن.  
كان العرب في الجاهلية يؤمنون بوحود الحس والعماريات وكسوا  
مقتنعين بأنها تحالطهم في السكن والحل والترحال والأكل والزواج  
وهناك أشعر جاهلية كثيرة تدل على ذلك.

وكانوا يؤمنون كذلك بالكهانة والعزاة ويشيء اسمه «الهامة»  
وهي طائر بشبه نسمة يخرج من رأس القتيل لسطاها بالثأر وهو  
يصيح اسقوني.. اسقوني.

ويقول شاعر جاهلي هو ذو الإصبع العدواني.

يا عمرو، ألا تدح شتمن ومقصص

أصوبك حتى تقول الهامة: اسقوني

وكان عرب الجاهلية يتشائمون ويتماءلون يشده وإذا خرج  
أحدهم من دأره هوحد شيئاً يدعو إلى التشاؤم عدد إلى الدر وأغوى  
على نفسه الباب ولا يخرج منها طوال اليوم.

وكانوا يؤمنون بشدة بالحسد ويعودون أطفالهم بسن ثعلب ويسن  
قط خوفاً من «العين».

كما كانوا يتشائمون من العراب كما يقول النابغة الذبياني.

رغم العوادل أن فرقتنا عدداً وذاك حبونا العراب الأوسد

وهي هذ لباح المصمم بالحراشات والحرعيلاب يشأت اللغة  
ومكست إلى حد بعيد تلك المنظومة لعقنية الجاهلية.

وقد أطاح الإسلام بالكثير من هذه الحرعيلاب وكان دين العقل  
و لحكمة وهالك عشرات الأمثلة على رهص سيدنا محمد ﷺ  
لحرفات التي كانت سائدة في عصره.

لكن المشكلة هي أن اللغة مرآة للتوكينة العقلية لمجتمع ما : كما  
أنها تؤثر تأثيراً حاسماً في تشكيل عقل المجتمعات التي تستعملها.

## ضد تحييط العربية

من يقرأ في تاريخ الفكر العربي يتضح له أنه راحل بمحاولات التحديد والتطوير التي أحدثت دائماً من تصدى بها ويصح في إحكامها

ولأنه يجرى على السعة ما يجرى على باقي شئون الفكر فقد صهرت في تاريخ العرب تيارات تدعو للتحديد ورخص الحمود في مجال اللغة لعدم سلوب أفكار معتزلة في العصر العباسي ظهر تنادى بتوسيع اللغة عن طريق نقاس و توسع في الاشتقاق وكان رفيع علم هذه المدرسة أبا على المارسي وتلميذه بن حنن وكان موقفهم من اللغة كما يقول أحمد أمين في كتاب «ظهر الإسلام» «موقف أبي حنيفة ومدرسته في الفقه» ويصعب أن اسماء أبي علي وابن جني إلى مدرسة الاعتزال مكنهما من التحرر وإحصاء اللغة لحكم العقل.

لكنه كالعادة في التاريخ العربي الإسلامي فإن التنازل المحاط الذي كان يتزعمه بذاك في اللغة أبو سعيد السيرافي نجح في إحكام الأفكار الجديدة وواد محاولة التحديد.

وعبارات وضماضة فإن التهديد الكلامي يكون عادة عيما للغاية  
وممزعا بالنسبة للأطفال

و تلجأ لأهيات إلى لأسلوب تعريبى القوي فى التهويل والمبالغة  
بأن يهدد أطفالهم بالصرب وربما بالقتل و لحرق وقطع الأيدي  
وغير ذلك، ثم لا يبعد هذا الوعيد بسبب ترخمة أو الشفقة  
وحبهم لأطفالهم، ولا شك أن التهديد و الوعيد و التحويل هي  
عميات تعمى يقوم بها الأم العربية لكي لا تؤدى طفلها التحبب  
لكن المشكلة أن هذا الأسلوب يترك في نفوس الأطفال آثار لا  
تمحى، وتترسخ في عقلهم الباطن عادة لكلام الذى يصرع من  
داخل المناس من رعبات كريمة، لكنه لا يعير عما يبوى للإنسان أن  
يقوم به من أفعال (الكلمة بديلا عن الفعل) فالكلام هي واد و نواقع  
هي واد آخر.

وهناك مئات من الأمثلة تؤكد ميل العربى إلى استعوص الأفعال  
بالكلمات، والشعر العربى سهل لا يتصب لهذه الأمثلة من امرى القيس  
إلى يومنا الحالى فالشعراء الذين يتحدثون عن القصصية وأعمالهم  
تتناقص مع أبسط قواعدها، والشعراء الذين يتحدثون عن لقاعة وهم  
يتكالبون على الحياة، كلهم قد ملأوا سماء الأدب هي القرون الماضية  
ربما كانت أشعارهم الجميلة تشمع لهم لمجوة بين كلماتهم وأفعالهم  
لكن وقع أشعارهم على النفسية العربية كان سليبا لعادية

وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول من الأمثلة البارزة على ما  
يريد أن نشبهه. فقد كان حسان أقص من يتحدث عن الحرب

ومحاولات التحدث في اللغة والحروج من الإطار الحديدي الذي وضعه النحاة لم تنوِّف في تاريخ لغوب على الرغم من وطأة حر من الماضي في كل العصور. وخلال عصر النهضة في القرن التاسع عشر واكب التيارات الفكرية الجديدة التي تولدت من الاحيكال بالحارج، وهي شديدة بالاحاجة إلى التحدث اللغوي فقد شعر رواد النهضة مثل الطهطاوي والكواكبي وقاسم أمين بأن اللغة أصبحت عقبة للتعبير عن أفكارهم الحديثة فقد كان لها حس لأول لكل هؤلاء هو تطوير العقل العربي ومواءمته مع التطور العلمي والاجتماعي والاقتصادي وحياتية التي عاشها منطقة منذ نهاية القرن التاسع عشر

ولم يفتقر الأمر على المتخصص - فقد شعرت الدولة نفسها أن الموقف قد حال لإيجاد آراء لغوية مبررة يعكس الواقع الحديث وفي عام ١٩٢٨ أنشأت وزارة المعارف لجنة مهمتها دراسة سبل تيسير اللغة العربية. وقد عُقد برئاسة اللجنة في الدكتور طه حسين وتقديم بمناقشة درستها للمجمع اللغوي الذي عُقد في يناير ١٩٤٥ وقد تبنى لمشروع مؤتمر لمجامع اللغوية الثلاثة الذي عقد في دمشق عام ١٩٥٦ لكن الأفكار التي طرحها لجنة لم تترسور بسبب غتراس الكثيرون على مبدأ المساس باللغة من الوضوح دار المهمة لصيغة التي سبوحها العرب هي بسبب لغة اصنام

\*\*\*

والمبدأ الأول لدى حزب الاتفاق علىه قبل لحوصل هي عمية اسطور هو ضرورة الحفاظ على اللغة المصححى وعدم استبدال



اللهجات بها فمن اللازم أن يكون هدف التطوير هو تحقيق لغة وسط بدأت تظهر بالفعل من خلال لغة الصحافة وخاصة منذ بداية القرن العشرين. ويجب السير في هذا الاتجاه ومحاولة إيجاد صيغة تعبر قسما مشتركا أعظم بين كل اللهجات العربية

وأعلم أن هذه مهمة صعبة للغاية وتستلزم عشرات السنوات من البحث والتجارب لكنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذ لغتنا الجميلة من الاندثار

\*\*\*

وبعيد عن ذهني بما أن ادعو إلى تطوير جذري يقضي على أسس لغة العربية. فمثل هذا لتطوير يقطع عن ترثا وثقافتنا وهو مرفوض تماما بالنسبة لي. فبحر العرب أصحاب ثقافة من أهم الثقافات الإنسانية ومن لحيوي التمريط في هذه الكثور التي تركها لنا السلف.

ولمطوب هو العمل على تطوير اللغة بجرأة لكن دون سبب الأسس التي قامت عليها. والحفاظ على الشكل والقواعد الأساسية التي وضعها السلف. وأعلم أن أي تطوير لغة يمس جوهرها هو حوص هي بحر عميق لكن عبور هذا البحر هو سبيل نخلص للعمل العربي ونقدم من الحلقة المبرقة التي يدور هيها منذ عدة قرون

والتطوير الذي أقصده يجب أن يحفظ على أساسيات لغة بحيث أن من يتعلم العربية بعد التطوير يكون قادرا على فهم كتب قبل إخراج عملية التطوير.

لكن كل المؤشرات التي ذكرتها نذل على أن المنظومة النعوية العربية هي حاجة إلى إعادة نظر شاملة. ولأني لست عاباً لمعياً أو نحوها فإني أكتفي في هذا الكتاب بإعطاء بعض الأمثلة الملموسة لما أقصدهم بالتطوير الذي لا يحل بجوهر اللغة فالعرض هو أن يظل العرب بعد مئات السنين قادرين على قراءة القرآن وفهم التراث تمام كما يفهمونه اليوم لا أكثر ولا أقل.

وقد اكتشمت بعد أن وصفت بعض الأمثلة أن ما أقترحه قد جاءت به الهجاء بالسليقة لأنه أقرب إلى المنطق وأبعد عن التعقيد غير المبيد. وقد وصلت من هذا المطلق إلى قناعة بأن تبسيط اللغة العربية سيكون بتقريبها من المنطق للقوى للهجات، مما يساعد على نقل المصحح من كل أنحاء الوطن العربي وبعد ثلاثة أو أربعة أجيال ستصل نسبة القادرين على القراءة والكتابة إلى ٨٠ وربما إلى ٩٠٪ وعندها ستزد الحاجة لإيجاد لغة وسط لكسر حالة الشيروهرينيا النعوية التي تحدث عنها

\*\*\*

ولكي يصع تصورا لكيفية تبسيط اللغة يتعين علينا أن نصع انديا على مواطن الصعوبة الكامنه في العربية.

ومن أبرز المضارقات التي تلمت النظر في العربية أن الكلمة تأخذ معها من التشكيل وليس من موقعها في الجملة الأصل هي العرسة هي الجملة لعلنه وإذا قلنا مثلاً ، ضرب الشاب الرجل (بدون تشكيل) فإن هذه الجملة التي من المستصر أنها

واصحه، تحتل معينين متناقضين لا يمكن التفرقة بينهما إلا بالتشكيل.

فإن كان لتشكيل هكذا «صرب الشاب الرجل» لكان المعنى أن الشاب قد صرب الرجل أما إن كان لتشكيل هكذا «صرب الشاب الرجل» لكان في هذه حالة الشاب هو المصروب والرجل هو لذي صربه

والحممة في اللغات الحية الحديثة هي حملة إسمية وليست فعلية و ليسب في ذلك هو ما تحرره الحملة الفعلية من القياس لدى السامع أو القارئ، لأن المعنى فيها لا يستلزم من ترتيب الكلمات وربما من التشكيل مع أن المنطق يقول إن الفعل لا يأتي إلا بفعل فالفاعل هو الذي يسبق الفعل وله أولوية عنه

واذكر أن والدي الأستاذ محمد مهيد الشواشي رحمه الله والذي كان من أفضل من يتحدثون العربية في مصر كان يعصب مني لكثرة استخدامي لحملة الإسمية التي كنت أحدها أقرب إلى التعبير عن المعنى لدى قصده وكان يتهمني بالتأثر باللغات الأجنبية التي كنت أحيدها بفضل دراستي وترعم امتثالي لنصائح والدي إلا أنني كنت أشعر بالفعل أن الحملة الإسمية أقرب إلى المطلق وإلى التعبير المباشر والسليم عن المعنى المقصود.

**الصعوبة الثانية** التي توجه درس العربية هي النقص العريض في حروف العلة. وفي مقابل ذلك، هناك وفرة مشكوك في ضرورتها في الحروف الساكنة وإذا قارنا العربية بالإنجليزية نجد

أر لديها ثلاثة حروف عنه في معاني خمسة ليسهم. وعددا ٢٥ حرف ساكناً في مقابل ٢١ عندهم وعالية الكلمات والأفعال في العربية تتكون من حروف ساكنة فقط، على عكس كل لغات العالم الحديثة فكلمة مثل «رجل» أو فعل مثل «صرب» لا يمكن قراءتها إلا بإضافة حروف علة في عرق وعلى لسان المصري تسميها التشكير فتجر بقول «را حولون» و«صا را ما»

وسمى مثل كلمات مشابهة باللغة الإنجليزية. فسيكتب مثلاً *arg* و *ath* هذه التركيب هي صرب من اللاحق قول عندهم. لكنها المعقول دانه بالنسبة له ومن هذه الممارسة جاءت فكرة طه حسين التي ذكرناها من قبل ولم يقتبسها أحد.

**وما يضاعف من المسكنة** أر كلمة واحدة من الممكن أن تشكل جملة كاملة في العربية وهذا ليس موحوداً في عديده اللغات الأخرى باستثناءات نادرة مثل فعل الأمر لكر وحوو لكلمة الجملة وضع نحوي عادي في العربية فعندما تقول مثلاً «كتبت» فالمعنى يحوى على الضاعف وبالتالي فقد اكتملت أركان الجملة في عبارة واحدة وقد نجد البعض ذلك قوة مصاعفة لعربية لكر لممارسة تشبه العكس فهو أحدا كلمة مثل «كتبت» نجد أن لها عشر دلالات منسبه على «أقر»، وفقاً لبطونها أو بتشكيلها ههنا «هتلب» و«هتلت» و«هتلت» و«هتلب» و«هتلت» و«هتلت» و«هتلب» و«هتلت» و«هتلب» و«هتلت».

فهل من الطبيعي أن نكون لكلمة واحدة نكتب بطريقة واحدة أكثر من عشر دلالات ؟ ألا يؤدي هذا إلى فتح باب لبس والعموض

في المعنى والحيرة والتأويلات المختلفة ؟ وربما كان ذلك أحد الأسباب وراء الخلافات التقيدية بين أنباء لغة لصاد فهم أحيانا غير قادرين على الاتفاق على معاني اللغة التي يتحدثون بها فيما بالها بمصنوع هذه الكلمات وفجوها ؟

ولا بد لمن يقرأ لغوية أن يتمتع بمملكة التكهن ودرجة عالية من القدرة على الاستنتاج بل والرجح بالمعيب فعالمية الأهل والكلمات تحتل عدة معن ولا بد للقارئ أن يحسن واحدا منها.

وأود قبل الأسرسل في مقترحاتي أن أعطي نموذجاً واضحاً من أعين التطوير الذي لا يحل باللغة فالمحصل هنا هو المقدرة على فهم العربية بعد التطوير لمن لا يعرفها قبل تطبيق عملية التطوير فإذا تقرر حمل الأرقام حمادية أي لا هي مذكرة أو مؤنثة كما هو الحال في عالمية لغات العالم، فإن من يصر أو يسمع بعد ذلك جعله بها رقم لن يعجز عن فهمها فهو سنقر الرأي أن تكون الأرقام مذكرة، فمثلاً سبع رجال بدلاً من سبعة رجال لما استعصى فهم ذلك على أي شخص ولو بعد مئات السنين

وهذا ما أقصده بدفع عن تطوير اللغة دون الانقطاع عن قرئنا

\*\*\*

والتقواعد الخاصة باستخدام الأرقام هي مثال لتعقيد الذي لا داعي له، لماذا لا نقول سبع رجال وسبع نساء بدلاً من تسعة رجال وتسع نساء، لماذا لا نوجد الأرقام حتى نوفر على أنفسنا تعقيدات لم تعد تناسب العصر ؟

فالمبدعون هي الإذاعة والنصريون يبدلون جهدا جهيدا، بقراءة الساعة بالعربية لمصحح بالطريقة السليمة يقولون مثلا أسدعه الآن الحادية عشرة وخميس وثلاثون دفعة.

وهناك مثال بصرب للتعبير عن ملاحه اللغة لعربية وثرثها وتميزها عن باقي لغات لعالم. لكفى اعتبر هذا المثال دليلا حديدا على «بعد العربية عن متطلبات عالم اليوم وأعرافها هي برج عاجي يصعد من المحنة بثقافته ليس بعشها العالم العربي اليوم

فيقال إنه لو ذهب رجل إلى آخر وقال له إني قاتلُ أسد هيه سيجيبه شدا لا وسبححاول أن يقتله عن قتل أسد

أما إذا قال له: إني قاتلُ ابنك فمعنى ذلك أنه قتل أسد بالفعل وسيكون رد فعل الأب محتملا بهام الاختلاف

وواضح طبعاً أن الحملتين تكسر بنفس الحروف بالصيغ والاختلاف الوحيد هو في التشكيل.

فهل مثل هذا نقطة قوة في اللغة؟ أم إنها تعطله ضعف خطيره لأنها تؤدى إلى الانقراض والعموص دون أن تكسبه اللغة بسببها بلادة في التعبير أو قوة في المعنى

فالبلاغة تقوم على الوضوح والبعد عن التعمق والتكلف والمبالغة والتصحيف والبلاغة ليست الفلاحة بالألفاظ وإن كان من الممكن أحيانا أن تقوم على ذلك وقد قيل البلاغة الإنجاز وجعل أحمل وصف لبلاغة هو ما فإنه يحاط بالبلاغة هي متى إن سمعها الجاهل لمن أنه قادر على مثلها»

والبلاعة هي السهل الممتع التي يتصور أي شخص أنه بسيط  
وهي متناول اليد لكن الحقيقة هي أن أصعب شيء هو التوصل إلى  
أسلوب سهل وحزل عند الفراءه، لكنه صعب ومجهد عند التأليف.

ولعل من أبرز أسباب تعقيد العربية ووقوع العائيه في شرك  
لحطاً هو المفعول به والمشكلة أن المفعول به في العربية لا يعرف  
من مكانه في الجملة، وإنما من إعرابه، وبالتالي من تشكيله

وأرى أنه من الأقرب إلى المنطق أن نقول مثلاً رأيت رجل طويل  
يأكل حمر، بدلاً من رأيت رجلاً طويلاً يأكل خبز

والسبب الوحيد الذي يجعلنا نتمسك بالمفعول به (مُؤنثاً) هو أن  
ورثناه من لغة العصور السالفة وأصبح مألوف لآدنا لكنه من  
غير المنطقي أن نقبل هذا لسبب وسكين لشافة الأدب

وبدا قلنا رأيت رجل طويلاً يأكل خبز فهل يؤدي هذا للتقارب  
أو المسمع أي الناس في المعنى ؟

وبعير مكابرة فإن تعالبيه المعظمى من العرب يحطون هي  
المفعول به عند الكتابة كما أنهم لا يهتمون معنى بعض الجمل غير  
المشكلة بسبب دور المفعول به وسط مصردات لجملة حيث أن  
تركيبه اللغة العربية لا تحدد له مكان محسوس ومعروفاً سلفاً.

\*\*\*

ومن أوضح الأدله على معابده فواءد العربية لسنة المطور تربع  
المتى على أصول نحو العربى حتى بداهه القرن الحادى والعشرين

فالمشي بالنسبة لكل لغات العالم أصبح كالدباصور الذي يفرض من على وجه الأرض وعالية النعت، الحيه المقدولة، سيود ثم بكر بها مشى أصلا فهذه الصبغه كانت شائعة في لغات السامية المديية وقد احتضى مع احصاء معظمها والعى بصيغته بقديمة هي اللغات لباقية حتى اليوم مع عمليات التصوير، التي قاموا بها

وهناك نقابا مشى تظهر سرحدات منصاوته في بعض اللغات السامية الحالية لكنها لا تصل الى تفقد قواعد المشى في العربية والعبرية مثلا بها كلمات تعبر عن المشى خاصة الأشياء المردوحة في لطبيعة مثل الثعنين و قدمين واليدين وهكذا، لكن لا يسبب لأفعال فيها ليمشي مثل «شربا» أو «قاما» أو غيرها كم في العربية، ولا يوجد مشى للكلمات مثل «رجلا» أو «امرأار»

ومعنى هذا أن عالبيه لغات العالم أدركت أن المصدر والجمع يكتمان تماما للتعبير عن المعنى وما زاد عن واحد يعبر بسبابة جمعا سواء أكان اثنين أو مائة أو أكثر، لكن المشى الذي أصبح أساسا عن كل لغات العالم لا زال محورا هاما للغة العربية حتى بداية قرن الواحد والعشرين.

فما هائدة المشى ؟ هل يصفي رفة عن المعنى ؟ هل يصيف حملا ؟ لقد أدرك الجميع انه لا هائدة من المشى إلا زيادة تعقد اللغة فهجره الجميع إلا نحن.

صحيح أن المشى له مكانة في التراث لشعري العربي وول كلمة في أول بيت يذكر في المعاني هي فعل مشى وهو «قاما» في معلقة



أمرؤ القيس وقد استخدم الشعر، المشى كثيرا مثل «ي خيلى» أو «يا سديى» و«يكاؤكما» فى مطلع مرثية ابن الرومى الشهيرة.

وهناك بيت للمتنبى يعبره الدكتور طه حسين من أحمل الأبيات فى الشعر العسائى العربى فاطمة كما يقول فى كتابه «مع المتنبى» والبيت المذكور فى قصيدة محاء عيمة صد كاهور نظمها المتنبى عندما هرب من مصر وهو:

يا ساقسى أحرى كؤوسكما أم فى كؤوسكما هم وتسفد  
لكن وجود المشى فى الأدب القديم لا يعنى أن يحبط اللغة  
ومرفص لتعبير فهناك تعبيرات وأساليب كثيرة تركبها لأنها  
أصبحت مفرقة للتماهم

ويؤدى المشى أحيانا إلى اللبس فى المعنى فهدد كتيما دون  
تشكيل رأيت فلاحين هم الممك أن يكون المتكلم قد رأى اثنين  
من الفلاحين أو جمع منهم. كذلك لو قلنا مصرع عراقيين فى  
الحرب. فمن الممكن أن يكون المقصود اثنين أو أكثر من ذلك  
والتشكيل هو الوسيلة الوحيدة لرفع اللبس فى الكتابة.

وقد تحبست اللهجات العربية من لى نقائيا وأصبح الأثن  
جمعا كما يريد المطلق.

\*\*\*

ومن المشكلات الأخرى التى تنفر دارسى العربية جمع المؤنث  
ومصريف الفعل الناتج عنه هالجمع فى كل لغات لعالم المنتشرة

بعضى الكافة وهو محاييد لا يخص حسداً دون آخر لكن لماذ عزل النساء عن الرجال ؟ أليس بشر، مثلهم مثل الرجال ؟ وقديما قال المتنبي في رثاء أم سيف الدولة :

وبو كبر النساء كمن تعدا لعصب النساء على الرجال  
وما الأنثى رأس الشمس عند ولا السدكم حجر الهلال

وقد ناقش الجميع للعوى في مصر هذه المصيبة لكنه من الراصحين أن أعضاءه استقروا على ضرورة الحفاظ عليه ولا يرى إن كان سبب هو تعذب الطبيعة وكل من يستعجم العربية كلفه كتابة ؟

**ويهتمير المؤنث من أعمد التركيبات التي لا يروم لها لمهم**  
المعنى فلو قلنا « النساء كلهن أكثر » أو « النساء كلهم أكلو » . فليس المعنى واضح في الحاسير ولن يتصور أحد في الحالة «الناية» أن النساء تحولن بقدره قادر إلى رجال . وعائبية لفات العالم لا تستخدم تلك التراكيب البالغة التعقيد التي عما عليها ، لومى ولتى لا تقسم ولا تؤخر ولا تصيف دعه إلى المعنى

وحتى في اللغة المصرية الدارجة نجد أنه لا يوجد فرق بين «مذكر والمؤنث» إلا للضرورة . هجى بقول بالمصحى مثلاً ، الرجال الذين كد والنساء اللاتى كد . . أما باللهجة الدارجة فيكتفى بتعبير «إلى» عوضاً عن الذين واللاتى

ومن الدلائل التي تساق للتدليل على ثراء اللغة العربية كثرة عدد كلمات ويقول جاك بيرك في كتابه «العرب» أن أحد علماء لغة العربية يقدر عدد مصادر لكلمات في لغة عربية بنحو ١٩٠٠ يتكون كل منها من ثلاثة حروف ومن الممكن وفقاً لبعض العالم لدى يقل عنه بيرك اشتقاق أكثر من مائة كلمة من كل مصدر ومعنى هذا بحسبة بسيطة أن عدد كلمات اللغة العربية يصل إلى ما لا يقل عن ١٩٠٠٠٠٠ كلمة.

لكن أبو بكر الربيدي الذي احتصر كتاب العين للخليل بن أحمد أحصى نحو ٦,٥ مليون كلمة عربية من الثنائي والثلاثي ورباعي والخماسي.

وكل هذه الأرقام تعد فلكية مقارنة بما لبية لغات العالم. هالانجليزية لا يزيد عدد كلماتها عن ٢٥٠ ألف كلمة وفرنسية عن ٢٠٠ ألف كلمة وفقاً لقاموس «كنوز اللغة الفرنسية». صحيح أن عدد الكلمات لا يجب كل تصريفات لأفعال، لكن المازق في كل الأحوال شاسع بين عدد الكلمات العربية واللغات الأخرى

والسؤال هو هل يعكس هذا العدد الموهل من الكلمات العربية دقة وفرة تعبيرية تفوق أي لغة أخرى في العالم؟ البعض يرى أنه كلما زادت المعاني كلما كثبتت البلاغة أيعاداً جديدة حيث يمكن اللعب بالألفاظ والإيجاء دون الإفصاح عن المصنوع. لكن التجربة أثبتت على العكس أن هذه الوفرة المتناهية أصبحت تزيد غموض المعنى وتجعل المستمع أو القارئ في حيرة أي معنى يستنتجه من

الكلمة ٩ وكلما زادت الاحتمالات ازداد العموص والالتباس وكثرت التأويلات.

ما بالنسبة للقوة التفسيرية فقد أثبت لشعر العربي أن هذا كان صحيحاً في عصر من عصوره. فالشعراء العرب توصبو إلى قدر من البلاغة تكاد تصل أحداً إلى حد الإعجاز وأنا لا اتحدث هنا عن معجزات القرن الكريم لدى بلل ما العربية لأنه معروف للجميع. وقد نجح شعراء في العصور الذهبية أن يترجموا أفكاراً وأحاسيس غاية في لبيل والسمور ربما لم يصل إليها أي شعر في العالم. لكن الشعر تطور بعد ذلك تطوراً صاعداً في أوروبا بعد عصر النهضة وظهر شعراء أبدعو قصائد بدعة تسمو هي لأخرى إلى السماء السابعة في عالم الإبداع والجمال.

أما عن الدقة فهذا أمر مشكوك فيه جداً. وإذا كان العلماء العرب قد نجحوا في الماضي في التعبير العلمي، فإن العلماء الغربيين قد تفوقوا عليهم بعد ذلك، وأصبحت العربية اليوم تلتهث وراء الإنجليزية لمواكبة التطور العلمي والتعبير عنه بالدقة الحقيقية.

\*\*\*

وكان العرب مولعين بالمتروقات منذ العصر لحاهلي حتى بات الأسد نقول الموسوعة الإسلامية أن هناك ثلاثة من علماء اللغة العرب قد عدوا - ٦ مرادف لاسم الأسد، والرقم هو «سبعمائة» من يتصور أن هناك صغراً أو اثنين أصيبا بمرض خطأ مطبعي. وقد قام المستشرق جروميرت بدراسة في شعر العربي القديم فأحصى

أكثر من ٢٠٠ اسم مذكور فيها للأسد منها، السبت والسبع والعصبر  
والهرير والاسامة والعاس على سبيل المثال لا الحصر

والحمير له في بعربية ١٦٠ اسماً بنوعه المختلفة وصحيح أن  
هناك حملاً يسهم وآخر يسم واحدة لكن هذا لا يبرر أن يكون  
هناك ١٦٠ اسماً مختلفاً للجمال.

ويروى عن أبي العلاء امعري وكان كفيفاً كيف هو معروف أنه  
دس على قدم رجل عندما دخل احد مسجده بعدد في ريارته  
الوحيد لها واستشاط هذا الرجل عصباً وشتم بها العلاء قائلاً  
«إني أرى ما كلب»، فكفى أبو علاء يبرر قال، «الكلب هو من لا  
يعرف للكلب سبعين اسماً».

فحس الكلب كان له عند لعرب سبعين اسماً على أقل تقدير  
ماد كل هذه الاسماء ؟ الا تكفى خمسة أو حتى عشرة مرادفات  
قد تعكس اختلافات بين أسد وحر أو حمير وحر في اللون أو في  
نوع مثلاً ؟

وفي سحره الأول من كتاب «تاريخ أدب اللغة العربية» يعرض  
حرجي ريدان للإفراط في المترادفات. ومن الواضح أنه يراه  
إحباطاً حيث يقول إن «كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعدد  
المعاني في لفظة الواحد جعلتها واسعة التعبير وسهلت على  
اصحابها التسجيع». وفي هذا المجال يذكر أن للأسد ٢٥٠ اسماً  
فقط. وأنا أريد إلى تصديق الأرقام، التي وردت في الموسوعة

لاسلامية ويصيف حرجى زئدان نلررافة ٢٥٥ سم داسر  
١٨٨ أسماً والماء ١٧٠ أسماً .

كسك فالمطر ٦٦ أسماً والسحاب ٥ ولشمس ٢٩ . ف  
صمات هوى أبصاً نغم نهر المتراتفات ففمفسير ١٦٠ فصاً  
وسطوس ٩١ لفظاً ويصيف زئدان ونحو ذلك للشجاع والكريم  
والبحيل مما يضيق المقام عن استيفائه .

ومن المعروف ان قصبة الزراف خلافيه في التراث يعرض كما  
هو حال بالنسبة مسائل لا حصر لها .

\*\*\*

ومن عجائب العربية أيضاً العدد المتروك المعنى سنة أو حد  
حاصه ن بعض كلمات تحسن معنيين متضادين فاصد العجز  
كها نقول زيد له ٦٠ معنى ولقط لعين ٢٥ معنى و كسب  
هذه التعددية في المترادفات كان لها ما يبررها في الماضي سبب  
وقد نفكر الموقف اليوم تعبيرا حذريا و صبح الاسماء بحث عن  
توضوح و لوصول إلى المعنى من فصر طريق ممكن فالصفا  
ننى كان يصح بها العرب من أربعة عشر هربا بحول اليوم نى  
معروف نثل لماطقيين بالعربية ويعتبرهم عن محارة نثند

فالملطوب من اللغة اليوم هو العبر العشر العشر والسريه موى مع  
يصح الحياة وليس «المركبة» ولا سغراض والبحث عن عريب  
المعنى .

و - سلماً بأن ثراء المشتقات و الحمولات هو معيار قوة اللغة في لغة إنجليزية على تعدد اليوم لغة العلم الدقيق و لأدب رفيع، تصبح لغة ضعيفة وركيكة حيث أنه لا يوجد للتعبير عن نفس المعنى سوى عدد محدود من المرادفات لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة لكن لو فتح بها تكفي تمام لتحديد المعنى والدليل على هذا أن الإنجليزية هي اليوم لغة العلم والأدب لأولى هي العالم،

دلائل أن وجود الحدود يعطى للكلمات تحديداً غير موجود في عابيه لغات العالم فإذ أخذت ثلاثة حروف مثل ك ب هـ فمن الممكن أن يشتق منهم فعل «كتب» وكلمات «كتاب» و«مكتبة» و«كسب» و«كتبت» و«كتيب» وكلها لها معانٍ ذات علاقة ببعضها البعض أما في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية من هذه الكلمات لا علاقة لبعضها البعض، الآخر إلا فيما ندر وكل كلمة لها جذور مختلفة وركيكة متباينة وهي لغات العالم الأخرى يتم صدقه بصغة حروف من و بعد بكلمة لاشتقاق معنى حر لها

في الإنجليزية مثلاً :

يظهر appear

يختفي disappear

مظهر appearance

ولهذا لسبب يطبق على هذه اللغات اسم لغات تركيبية

ولا ادعى انى مفيد حلا سعريا لالانصصام الثغرى سى يفاى منه  
 العلم العربى لكنى قول ان مثل هذا الانصصام لا يهكى ان يهوى  
 الى الان واحشى ما احشده كما اتت ان فالى طول حدرية تتصل  
 بينا وبين راسا العظيم ويكون خراس انصصام قد وضو انى عكس  
 مفسدهم شهم يربدون الحصاص على نعة كما هى دون تطويع  
 فتكون لسيعة ان يكون استطور كثر كثيرا من رسة جميعا وبمن  
 حوهر عتت بحمله الى سحر بها

\* \* \*



## الاستثناء العربى

نصر العرب بين شعوب العالم بالالبحام الوثوق بين هويتهم ولغتهم. ويقول جمال حمدان فى كتاب «شخصية مصر» (توسيع دراسة فى عقربه المكان) «وإذا كان لابد من مقياس مدرج للعروبة. فليس جنسيا هو، ليس بكمية الدم العربى التى اضيفت، ولكنه كمية اللسان العربى التى استعيرت. بمعنى آخر، مقياس العروبة، مثلما هو أساسها اللغة لا الجنس».

والتميز استثنائى للعربى كما فى، هو أنه من يتحدث اللغة العربية نكر هذا التميز لا يضيق على أبناء شعوب الأخرى فلا يمكن أن يعرف العربى مثلاً أنه من يتحدث الفرنسية، لأن هذا شعباً أخرى فى بنجيك وسويسرا وكند وغيره لغتها الأم هى الفرنسية كذلك فالإنجليز لا يعرف أنه من يتحدث الإنجليزية وأيضاً اليابانى والاسانى و الروس وهكذا.

لكن، لانتماء إلى عروبه لا يكون إلا بالغة كنصره سبق تسلسل على الهوية،

ومع بدايات القرن الحادي والعشرين يواجه العرب هجوماً شرساً يستهدف الأسس الرسوخة لنفصاتهم الموروثة ولا شك سبدي هي أن الصراع العربي الإسرائيلي يكمن بخصمه أساسية وراء محاولات تعديل العقل العربي ونشكيله شكلاً جديداً ، بحيث يتقبل السلام بإنشروك الأسرئيسة

أمريكا. والقرب عامة بسعون مند نصف قرن إلى قناع العرب بصورم السلام مع لدولة العبرية ولأن الولايات المتحدة ترفض أو لا تستطيع، ممارسة أية صغوط على إسرائيل فإن الحاد لدي تستطيع إقناعه بالحجة أو بالقوة هو الحاد العربي

ومنذ كانب ديفيد وقسها لحات واشنطن إلى كدوة أشكال لصغوط على الدول العربية التي تعتبرها حنيعة لها وهي دول ترتبط بالمعر بمصالح حيوة مع أمريكا لكن كل « لمصالح » و لصغوط هتلت هي قناع العرب بالاسنسلام لاردة إسرائيل والتخلي عن قصية لمسطيية ايا كان رأيا هي أسباب ذلك

وقد أسرك حمرء العرب أن مسع الرفص الحقيقى ليس لحكم لعرب وحدهم. وبما الشعوب العربية. وأن الأنظمة لا تستطيع حتى لو أرادت أن تقبل بتسوية غير عادلة

وقد أسهمت حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في زيادة الصحوه بين لعرب برعامه أمريكا من ناحية والعالم العربي من ناحية أخرى. وهذا لم يحد لعرب حلاً إلا في إعادة تشكيل العقل العربي، ليتو مع مع المطق العربي ويحصح لرعاب إسرائيل، وتلورت شسفاً فشيئاً

فكرة إعادة تشكيل العقل العربي عما يسمى بعشروع اشرق  
الأوسط الكبير .

وقد سدرت الشعوب العربية برهص هذا لمشروع لأنه من غير  
المقبول ولا المقبول ان نتدخل إرادات خارجية هي تشكيل عقي  
الأحبال لصاعدة من أبناء الشعوب العربية

لكن هل يعنى ذلك أن لسب في حاجة إلى إصلاح ؟

لإجابة في رأي أننا اليوم في أمس الحاجة إلى إعادة سطر في  
المطلوكة العقلية العربية بكاملها فقد أصبح العرب يعيشون وكأنهم  
عنى هامش المجتمع الدولي بسبب بكفائهم على مجموعة من  
أفكار المتحجرة التي سبيلهمها من ماضيهم ولم تعد تحارى زمان

\*\*\*

ولكن اللغة العربية هي نموذج و صبح و رمز ملموس لتعجز العمل  
العربي ورفض التعبير من مطلق المصائب بالماضي، فعن برهص  
المسائل سالعة العربية بدعوى أنها لغة القرآن لكن لواقع من خلال  
لتحسين لدى أوردته في هذا الكتاب هو أن نو صل لأحبال المقسنة  
مع انقراض الدين الإسلامي يمر حتما بتطوير اللغة وتطويعها  
لمقتضيات العصر فالطوير من مصلحة الدين كما أنه من مصلحة  
الشعوب العربية.

وكما اثنت في لصححات السابقة، فإن الدين لعب دوراً حيوياً  
في لحفاظ على العربية وإذا أحدا مثال مصر في عصور لحكم

التسركى المملوكى عند العرب، العثماني وحتى عصر النهضة في منتصف القرن التاسع عشر سدرك حقائق من اللغة ربما لم يكر فيها من قبل ولطرح على أنفسهم هذه السؤال من كان يجيد اللغة العربية الفصحى في تلك الحقبة ؟

الطبقة الحاكمة كانت تحدث التركية بصفة أساسية، وكانت هذه لغة هي لغة التعامل الرسمي والمعاملات والاحكام أما أبناء الشعب فكانوا يتحدثون اللهجة المصرية، لدارجة وكانوا في غالبيتهم الساذجة لا يعرفون القراءة و الكتابة ولا يفهمون الفصحى. الفئة الوحيدة التي كانت تحب العربية هي علماء الدين ودارسو أو خريجو الأزهر الشريف وكان عدد هؤلاء لا يريد عن بصع مثل تعد على أصابع اليد الواحدة ولولا هؤلاء لتعرضت العربية في مصر إلى أخطار حقيقية.

وكما أشرف في كتاب «إداء العرب» فإنه عندما أصدر الطهطاوي كتابه الشهير «تحليص الإنير» في تعيين نازير» أمر ولي نعم محمد على باشا بنرحمته إلى اللغة التركية حتى يستفيد منه الحكام لحقيقيون بللاد وغابيتهم معظمى لا يتحدثون سوى لتركية

وحلال القرن العشرين أدت وسائل النقل والاتصالات إلى التقريب بين شعوب العالم ونداءات ترتسم معالم قسماات مشتركة مجمع بين أبناء البشرية بصور متفاوتة

ولا شك أن الحريين لعالميتين الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ولثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) برعم صراوتهما البالغة، لعبا دورًا هامًا في

التقريب بين شعوب العالم، وهي إيجاد فاسم مشترك أعظم من لقيم والمادي، و تمثل تصالح للمجتمعات الإنسانية في كل مكان وحتى قبل الحرب العالمية الأولى بذلت شعوب العالم تتفق على مبادئ عامة وبمفط بعض الممارسات التي كانت مسمولة من الجميع بقرون طويلة فكون هناك أجماع تحقق تدريجاً حول إعاء الحق ونهاية عصر العبد، وإعاء التعذيب البدني الذي كان مباحاً بين ومسحياً في عالبيه مجتمعات العالم كما ظهر صاق عدم حول صبروه إعطاء المسهم فرصة لدفاع عن نفسه من خلال محام بتراخ عنه أمام المحاكم.

و سبعت هذه المبادئ في زهان كافة مجتمعات بعالم وأصبح من الصعب على أي مجمع أن يستثنى نفسه من الالتزام بها واليوم تجمع عابلية مجتمعات لعالم على مبادئ ومثل تتفق حولها بصفة عامة مثل بديمقراطية وحقوق لإنسان، وحرية التعبير وحرية التحرة، والمساواة في لحقوق بين الرجل والمرأه ومسودة جميع ابو طنين أمام لصبور

لاشك في أن لدول لعربيه لكبرى كثير، ما سستل هذه لمدى لصالحها وبحرقها عندما تصطدم بمصالحها العظمى ولا بعنا مدع من شعوب العالم التي ترفع صوتها رفضاً للضم ان وقع عليها ومع ذلك هان رفض هذه لمدى من أي طرف بعد بوعب من لبحرور على بصادون الدولي بدي بتمثل في الأمم المتحدة

وامتظمات الدولة والعرف الذي أصبح سائداً في العلاقات بين الدول المحتلة.

صحيح أن بكل حصار هوبها التقاضية الخاصة، لكن القاسم المشترك، الأعظم في لقيم والمبادئ العامة أصبح ظاهرة لا يمكن الفكاك منها في الممر الحادي والعشرين.

\* \* \*

هه بعض مثلاً أن يذهب عربي إلى طبيب عربي فيعطيه دواء مناسباً لحالته فيعترض الخرص قائلاً: هذا دواء ينفع أبناء بلدك، لكنه لا ينفع لأبي عربي!

للأسف أنا نجد موقف مشابهه لذلك الموقف لبعضي عندما نرفض أفكاراً وردة من خارج نادعاء أنها تتاهض مع ثقافتنا وديننا

وإذا فبصرنا على محال النعة وهو موضوع هذا الكتاب فإن التيار الثابت عندما يقول كل لغات العالم قابلة لتطوير ولاصلاح، لا نفينا العربية ثم سوفون حججاً عديدة لتبرير هذا الاستثناء، على رأسها أن العربية لغة المرن

وقد سمعت في صفحات هذا الكتاب أن أثبت كم أنه من مصلحتنا كمسلمين حريصين على ديننا وراثتنا، أن نضوم بتطوير شامل لمنظومة اللغوة العربية ولا يمكن أن نطل العربية ممتعة عن أي تحديث دون عن كل لغات العالم الحية. فهذه النظرة التي تستثني لعرب من ممارسته لتجارب الناحية في العالم هي أهم أسباب تخلف العالم لعربي عن ركب الحضارة العالمية

بالتأكيد . لنا خصوصيت التي لابد أن نقيم بها الف حساب  
فمن قد قبل حرية المرأة، لكنه لا يقبل الانحلال لحقوقي وقبل  
حرية نرى، لكن لا يصح اتهمهم على لأعراض

و المشكلة . البعض عبثاً تدفع بخصوصية الأخلاق العربيه  
لرفض حرية المرأة وحرية نرى بدعوى أنهم يؤمنون بـ الانحلال  
و هو صواب وتعذر صواب فهما الدين . ويعطف هذا انهم يحجج  
و هيه تطلق على البعض بظن استحياء بسبب الحيف وليس  
بقية ومبادئه

و الاستثناء العربي له وجود بالفعل على أرض الواقع فمن  
صحاب هيرات ثماني بدر . بتواحد لدى حصاره حرى هي  
العالم وثقافتها تعطى همية كبرى سروحاسيات، والأخلاق  
و عواطف إنسانيه واسرع الاسرى و لرحم وكلها مثل عظمة  
بوارثاها حبل بعد حين، ويكون من يحس أن يصرط فيها بل  
عيب أن يتمسك بهذا الاستثناء الانحاسي الذي يمتد عن باقي  
حصارات العالم

أكن أن يكون الاستثناء العربي هو استثناء من نفس سيمقرضة  
ومثل بحرية وحقوق الانساى والمساواة بين الرجل و المرأة  
ومساواة الجميع أمام القانون . هذا استثناء سلبى يجعل من العرب  
جماعة خارجة عن القانون الدولى و لأعراف التي تقف عليها  
الانسانية مع مدة لقرن لحدى والعشرين وقد أصبح وصفاً  
يؤم اما لا يستطيع أن يعيش في جزيره معزوله سمها، العالم  
العربي

ورفضاً لأي تصوير ملموس هي قواعد النحو والصرف العربي  
هو دليل صريح على أن هيما للاستثناء العربي هو فهم سلبى يعوق  
أي بعدد للعص وبتالى أى تطوير للمجتمعات العربية

وإذا كان علينا أن نرهن بشده أن يتحكم أحد هي عقولنا، وأن  
نملأ علينا أسلوب تكبير معين، فإن علينا نفس بقدر أن نرفض  
من ينادون من بسا بالتحجر والانغلاق ورهن كل جديد

شعبي سر تصور الدعوة الإسلامية لعب بحار الدين على وتر  
الاسم، تعميق للشعوب العربية وجعلها بفقيدات بلغة الفصحى،  
فاستخدموا كلام مذهبهم وتعمدوا سنجح أصعب للكلمات  
وتمراكيب بلغوية يسهروا الناس فيصد قوهم، ويتسعون ما يقولون  
من معطوق بماهم اراسج بالدين والارال البعض هي العالم العربي  
ليود يستخدم نفس لأسلوب، عامدين إلى تسييس الدين واسمالة  
بسا لشعب البسطاء لمسحورين بالكلم

وغير نعتبر للغة من ثوب العقل العربي لقي بصحر بها،  
ووقع يملأ قلب أن بصحر براشا الأدبي والمكرى والقوى، لكنه  
ببني عدينا نصب أن ستقص ثائرس على قو عد لنحو والصرف  
والتعقيدات اللغوية لسي نعل ثوب العقل العربي وتحبسه هي  
لداصي البعيد، وفيما أملاء السلف من اراء وأفكار لم تعد تناسب  
العصر الذي نعيش فيه

نقد بأحرنا أكثر من ألف عام عن إحداث تطوير حقيقي في  
لغة العربية بسبب ميل العقل العربي إلى التمسك بالقديم



وتقديس كلام السيف فعليا في سد رث دوى بطاء كل هذا يرمى  
بدرج شفاء وحمل لأحريين يتموهون علينا وتعلموهون نانتلى في  
مضائربا.

\*\*\*

ولا يمكن اعتبار حصار سياسة لعبوة لأي مجتمع عسى به من  
شمار بصدفه أو أنه احتيار محارب. فورا هذا الاحتار سبسه  
عامة لكن مجتمع يقوم على مفهومه العميق بهونه.

وبالنسبة لنا في مصر في كما نرى أن مصر لمصريين وحدهم  
وبه عيبا في صلتح أنيسا عن الحسد العربي، فيه من ممكن  
عندنا ن سعة الى اللهجة المصرية وعطيلها الأونية أما ان كان  
مقنعين بأن مصر جزء من ثقافة أوسع، ومن عائم كبر هو العالم  
عربي فيه نفعين عسا في هذه الحدة ان نتمسك بالغة لى  
نرطب محدودنا لاربحيه كما نصنا بامبدنا الحفر في تصفى  
ولاشك أن هناك من نرربن لغات العربى ويسمى بقطيع  
أوصاله وتمكيك نرو بط من أفطارد ومن اقو ه اللغة.

فانعام لعربى نكد يكون كما هنا لكان أوحده بدى يتمرد  
عسى برده و شطرن وخاصة في علاقته بأسرثيين. فيس عربى  
نسمع من يؤكد ان العالم العربى محذر حراجه ووشه كسر و  
نسمع من يطالب بسد اللغة بعربيه وحمل نهجيات هي بعد.

القومية الرسمية للبلاد

وبذلك أكد أن جوارب الوحدة هُشلت واستفشل في المستقبل  
لمحور بكر هذا لا يعني أنه لا يوجد عالم عربي له مصانع  
مشتركة ورؤى متمايزة ووحيد متوحد ومن المؤكد أن اللغة العربية  
هي العنصر الأساسي في رابط الوجود العربي ولو تركب هذه  
اللغة تتحطم فوق محور عاتية هذا يهدم فكرة من أهم أفكار  
تقرب العرب، وهي وجود عالم عربي واحد له صفات وخصائص  
مميزة عن باقي الكائنات المتمايزة



ونعلم أن الأفكار الواردة بهذا الكتاب ستكون بمثابة صدمة  
لنفس ليس اعمد السبر في خثرق لبعده اننى مهدد السلف  
مد قرون طويلة ويسبر عيها كل من جاء من بعدهم فى حالة  
استنابة عقلية عريبه

وأعلم أن بعض من يعسرون أنفسهم حراس اللغة العربية  
يستقصون مصنف من لاقتراحات لنى يتقصيها هذا الكتاب  
'وعرف مقدم التهامات كبحرة' لنى ستوجه للأفكار الواردة فى  
هذه المصحات ثقفى كبيرة فى برعه لمرائدة واللعب على وتر  
النس والفتايد والموروث وكل لقيم لنى يؤمن بها جميعا نفس  
لشرح لكنا عيها من مصطفات متباينة

وأكد أسمع من يتساءل عن مدى تخصصى فى اللغة العربية  
وهى بحجة لنى يواحه بها كل من يحاول الخروج عن الطرق

مصروقه والممهدة والتي اجمعت لأحبال الماصبة عنها نحي مع  
 هـ لم تعد صانحة نحيب حاشي والأحبال الماصبة ر سعه  
 كما يقول عميد الألف العربى هـ من سكر من يستعملها

ومع كل ذلك فبعض على لغة ناعه من ه سياتر بيوم ن و  
 يضطر فيه العرب لى تسيفظ نعتهم حتى لا يوحه رعه ضاحية  
 تعرضها يحصر فلم لا يند من لاي ؟ لا تكفى اقشرون شى  
 صاعيت بها هاء؟

وكما قبل فقد تمت عمدة بطور عشوائية لغة على ألسن  
 تكثير و سديين من مصر و سنام وكل لمدان عربية وخاصة  
 من خلال الصبغة ولا يفسى يوجد ان يحدث شى شصط و  
 قمر ب مبردة بالتطور من دى سد عربى، أما كان ولا يفسى  
 سائر لشعور و شعما، لغة الحلافات سسسية و بحر رات من  
 بحكم فكل هذه الحلافات رقه اما اللغة هى باقية

فسيك، الحصفه عرسة و ر عها بصادفة معروفه باسمه  
 « ليكسو » على مهمة يقين لتصوير توضع، و ساءه نطر فى مس  
 سواك و سحو، وبشكل الحصفه محب من الجامع لى  
 خمس الموجوده فى عالم العربى لآ

\*\*\*

والمقصود الى سترحه الذين سصدون مهمة تصوير لغة بمنز  
 هى راحة بهدف الاقتراب من اللغة العامية شى سيجب

الشعوب العربية للتفاهم اليومي. وفي الوقت ذاته عدم القطيعة مع اللغة العربية الأصيلة، لغة القرآن ولغة الأدب التي مارسها العرب خلال القرون الماضية.

وفي النهاية فإن كل ما أطلبه من القارئ الكريم هو أن يتمهل قبل أن يصدر حكمه على هذا الكتاب. فما جاء به يسير ضد التيار الغالب، وعكس الموقف الذي اتخذه العرب من لغتهم طوال القرون الماضية. وأفهم أن يكون رد الفعل الأول هو الرفض القاطع للقرصنيات والاقتراحات التي عرضتها في الصفحات السابقة، فقد اعتدنا على خمد تفكير معين تربيينا عليه وفطرنا على تقديسه وعدم مراجعته أو حتى مناقشته.

لكفنا لو فكرنا بشيء من الموضوعية لاتضح لنا أنه آن الأوان لإعادة النظر في مسلمات طالما أدتنا، وأوضاع ثقافية متحجرة هي السبب الحقيقي وراء تعطيل مسيرة التقدم في العالم العربى بأكمله.

\* \* \*

## الفهرس

٧	..... مقدمة
١٩	..... برج يابل
٣٧	..... هل هناك لغة عالمية ؟
٥١	..... رسالة إلى حراس الضاد
٧١	..... هل العربية لغة مقدسة ؟
٩٣	..... المسيحيون والعربية
١٠٩	..... المتنبي يخاف من الإعراب
١٢٥	..... شيزوفرينيا لغوية
١٤٣	..... غاية اللغة
١٦٣	..... ضد تحنيط العربية
١٨٣	..... الاستثناء العربي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٨٤ / ٢٠٠٤

---

I.S. B. N. 977 - 01 - 9069 - 1



### صدر للمؤلف

- ١٩٩٢ كتاب «هل فرنسا عنصرية؟» .
- ١٩٩٤ مجموعة قصص قصيرة بعنوان :  
«الشيخ عبداللّه» أخذ عنها «فيلم بطل  
من الجنوب»
- ١٩٩٥ مسرحية «لن تسقط أورشليم» .
- ١٩٩٨ صدرت ترجمة «لن تسقط  
أورشليم» بالفرنسية عن دار نشر لارمتان  
مع مقدمة للدكتور بطرس بطرس غالي .
- ١٩٩٨ «نهاية التفكير» دراسة فكرية .
- ٢٠٠٢ «الداء العربي» دراسة فكرية .



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤٥٠ قرشاً